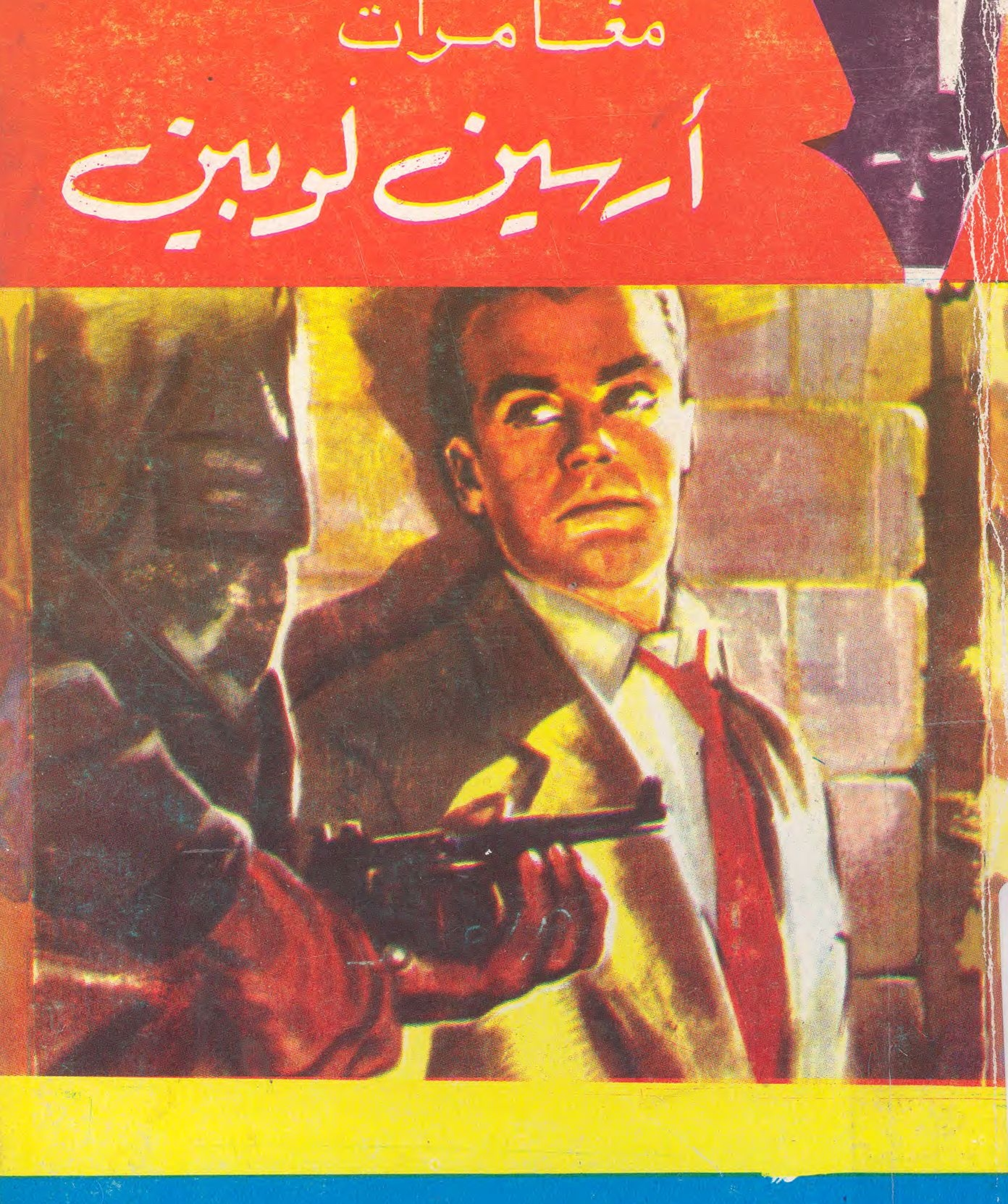


الغرفة الصفراء

الغرفة الصفراء

رواية بوليسية حافلة بأروع المفاجآت

بطلها اللص الظريف
أرسين لوبين

للكاتب الفرنسى الكبير
موريس لبلان

القسم الأول

الغرفة الصـــفراء

طوى الرجل الجريدة ووضعها أمامه ونظر الى المائدة المجاورة ولم يتمالك نفسه من الابتسام ٠

كانت الفتاة التى جلست الى تلك المائدة تحاول التفاهم مع خادم المطعم ، والخادم لا يستطيع أن يفهم عباراتهـا الفرنسية السقيمة التى كانت تنطق برطانة أجنبية ٠

وأحست الفتاة بعجزها ونظرت حولها وفى عينيها مزيج من اليأس والحرج ، وتعلقت عينيها بعينى الرجل لحظة ، وأحس الرجل بأنها تستنجد به وتدعوه الى التدخل ٠ وكان قد فهم غرضها فالتفت الى الخادم وقال له بالفرنسية فى هدوء ولكن بلهجة حاسمة :

ـ أصغ الى يا هذا ، ان الآنسة تطلب مزيجا من النبيذ الجيد والفرموت مع قطعة رقيقة من قشر الليمون ٠

فأحنى الخادم قامته وانصرف لتلبية الطلب وأشـعل الرجل لفافة تبغ وراح يدخن فى لذة وارتياح كأنما لا يوجد فى الدنيا ما يشغله غير جارته الحسناء التى جعل ينظر اليها خلسة من ركن عينه ٠

وبعد قليل عاد الخادم ووضع أمام الفتاة قدحا فتناولته ورفعته الى فمها ،فى حذر وتذوقته فى بطء وقلبت شفتيها باشمئزاز ولم يتمالك الرجل من الابتسام فقالت له الفتـاة بالانجليزية ٠

ـ ليتنى أتكلم الفرنسية كما تتكلمها لكى أقول لهذا الخادم كلاما لا يسره .

فأجاب الرجل : ان خدم المطاعم والفنادق قلما يأتونك بما تريدين ، باستثناء خدم المطاعم فى انجلترا وأمريكا .

ثم أستطرد بعد صمت قصير : هل تجدين صعوبة فى التفاهم مع أهل باريس ؟

فأجابت ضاحكة : انك رأيت بنفسك مثلا من أمثلة هذا التفاهم ، ولكنى ألاحظ انك تتكلم الانجليزية بطلاقة ، فهل أنت فرنسى ؟

ـ نعم ، ولكنى أعتبر نفسى رجلا دوليا وأتكلم بضع لغات كما يتكلمها أهلها .

ـ هل ذهبت الى انجلترا أو أمريكا ؟

فابتسم الرجل وأجاب فى شىء من الاسى :

ـ ليتنى أعرف مكانا لم أذهب اليه .

فنظرت اليه طويلا فى فضول والتقت عيونهما مرة اخرى.

قالت فجأة : حدثنى أيها الغريب ، أين تستطيع فتاة أن تقضى سهرة ممتعة ، فتاة توشك ان تقدم على مغامرة فاذا فشلت فلن يكون فى مقدورها بعد ذلك أن تختار المكان الذى تذهب اليه ، هل فهمتنى ؟ أريد سهرة من نوع يترك فى النفس أثر لا يمحى .

فصعدها الرجل بعينيه وفكر لحظة ثم اجاب :

ـ ان باريس كلها تحت تصرفك ، فهل تريدين قضاء السهرة فى أحد المنتديات الليلية المحترمة ، أو فى أحد الصالونات غير المحترمة ؟؟

ـ أيهما تفضل ؟
ـ أنا شخصيا اقترح قضاء سهرة شاعرية فى مطعم هادىء بشارع سان لورانس اشتهر بأطعمته الانجليزية الشهية ، وبعد ذلك نرى ما سوف يكون .
ـ وأنا قبلت اقتراحك أيها الغريب .
ـ ودعا الرجل الخادم ونقده الحساب بينما حملت الفتاة حقيبتها وقفازها وانصرف الاثنان معا ، واستقلا سيارة أجرة كانت بالباب .
قالت الفتاة :
ـ ان لدى فسحة من الوقت حتى منتصف الليل أيهـا الغـريب .
وخلعت قبعتها وأسندت قدميها الصغيرتين على المقعد المقابل ، وسقط نور مصابيح الشوارع على وجهها ، ورآها الرجل بكل فتنتها وجمال طلعتها .
سألها : وبعد منتصف الليل .. الا تتركين لى فردة حذاء على سبيل الذكرى ؟
ـ بل سأترك لك الحذاء كله .. لأن هناك منزلا يجب أن أسطو عليه .
وتناولا معا عشاء شهيا اعترفت الفتاة بأنها لم تتذوق فى باريس طعاما فى جودته ولذته . ثم قبلت من الرجل لفافة تبغ أشعلتها بعود الثقاب الذى قدمه اليها ، ونظرت الى مضيفها فى شىء كثير من عدم الكلفة ، على نحو ما يحدث بين شخصين أستمتعا بأكلة واحدة .
ـ قالت : يسرنى أننى قابلتك أيها الغـــريب . فأنت انسان تقابل الأمور فى هدوء ولا تلقى اسئلة محرجة .

فأبتسم الرجل .

لقد تعود أن يسمع عن نفسه أطراء من هذا الطراز .

اجاب : اننا معشر اللصوص قلما نفقد هدوء أعصابنـا واتزان تفكيرنا ، أما عن الأسئلة المحرجة فهذه يمكن القاء الكثير منها فيما بعد .

فأرسلت من فمها خيطا رفيعا من الدخان راحت ترقبه وهو يتصاعد نحو السقف ثم قالت فى هدوء :

ـ سأتحدث اليك فى صراحة أيها الغريب ، ان النساء حين الثرثرة ، وما ألذ الثرثرة فى ليلة كهذه يبدو كل شيء فيها كأنه حلم ، اننا لم نلتقى قبل الان ، وقد لا نلتقى ابدأ بعد ذلك فهذا اللقاء من النوع الذى ليس له ما وراء الا الذكرى .

ـ ومن هو الوحش الذى ستفتكين به الليلة ؟

ـ أنه أحد الذئاب التى يراها المجتمع فى ثياب الحملان، هل سمعت عن بيرت نورثويد ؟؟

نعم ، ان الرجل الغريب قد سمع عن بيرت نورنويد ، بل ويعرف الكثير عنه وعن أمثاله ممن أثروا خلال الحرب بوسائل ملتوية ، انه يعرف ان نورثويد جمع ثروة طائلة من توريد الاحذية لجنود الحلفـاء بثلاثة أمثـال ثمنها الحقيقى وانه أصبح بفضل هذه (الخدمة الوطنية) من كبار الاغنياء ، ولا تزال فروع مؤسسته تعمل فى جميـع العواصم الاوروبية والأمريكية أما الرجل نفسه فانه تقاعد وترك الاشراف على أعماله الكثيرة للعنصر النسائى فى اسرته لأن الاسرة خلت من الذكور .

أجاب الرجل : نعم ، اننى سمعت عن نورثويد ، انه احد أئمة الصناعة فى العالم .

فقالت الفتاة : وهو كذلك عمى ، وأنا أدعى أميلى

نورثويد وحمد الرجل الله على آنه لم يصارح زميلته برأيه الشخصي فى برت نورثويد وهو ما كان ليكتمه لو ان هذا الاخير كان موجودا .

قال ببرود :

ـ اننى آرثى لك يا آنسة .

فقالت : ان ابى استاذ للهندسة فى (تورنتو) بكندا ، ومن المؤكد أنك لم تسمع عنه قبل الآن ، ولكنى اعتقد ان الله لم يخلق اخوين يختلف كل منهما عن الآخر كما يختلف أبى عن اخيه ، كان كل هم عمى ان يبحث عن النقـــود ويختزنها ، أما أبى فلم يكن كذلك قط . انه رجل هادىء كريم لا يختلف عن أى انسان عادى ، وهو خارج عمـــله اشبه بالاطفال سذاجــــة ووداعة ، وقد بدأ كلامهـــا من الحضيض وحقق كل منهما أهدافه ، فجمــــع عمى ثروة طائلة ، واتم أبى دراسته والتحق بجامعة (تورنتـــو) وحصل على درجة جامعية ، ووصل الى مركزه العــــلمى الحالى ثم جاءت امى ففـــرقت بين الرجلين كان عمى يريدها زوجة له . ولكنها اختارت ابى زوجا لها .

فهز الرجل رأسه فى صمت واستطردت الفتاة :

ـ لم يكن لأبى ذنب فى ذلك ، ولكن عمى لم يغفر لـــه قط ، ولا اظن انه غار من ابى او انـــه كان يحب امى حقيقة ، واعتقد سبب حنقة وغيظه انه اصطدم لأول مـــرة فى حياته بشىء لا يمكن شرؤه بالمال ، فخدش ذلك كبرياء وآثار ضغينته .

ومهما يكن من أمر فانه لم يفصح عما يعتمل فى نفسه ، وظل يتظاهر بالحب والعطف ولم يرتب ابى من ناحيته فى شىء ، ولكنى أرى والاحظ وكثيرا ما حاولت ان الفت نظر أبى الى ان اخاه لا يضمر له خيرا ولكنه كان يرفض الاصغاء لى ، بل واكثر من ذلك انه ســـاعد بيرت على

مضاعفة ثروته ، لأنه مخترع بارع وقد صنع لعمى خلال الحرب آلات تنتج ضعف كمية الاحذية بنصف التكاليف ، وأظن أن عمى كافأه على ذلك بأن اعطاه مائة دولار .

وهنا ابتسمت الفتاة واستطردت :

ـ لقد بدأت القضية تبدو كاحدى الروايات البوليسية اليس كذلك ؟

ـ انني أحب هذا النوع من القصص .

فازدررت الفتاة ما كان فى قدحها من نبيذ وقالت :

ـ ومع ذلك فانها قصة لها مثيلات فى كل يوم .

لقد شرع ابى منذ عامين فى ابتكار جهاز للسيارات ينقل سرعتها بطريقة آلية ، هل تفهم ما أعنى ؟ انه جهـــاز يساعدك على قيادة السيارة دون ان تستخدم آى شىء آخر غير (الفرامل) ، جهاز ينسق سرعة السيارة فى الطرق المرتفعة والمنحدرة ووسط الزحام دون ان تحـــرك انت ساكنا ، وانه موضوع فنى لا ضرورة الآن للافاضة فى وصفه وشرحه ويحسبى ان اقول لك انه سيحدث انقلابا خطيرا فى صناعة السيارات ، وانه يساوى ثروة جسيمة ، وقــد انفق ابى فى سبيل صنعه وتحسينه كل ما ادخر طيـــلة حياته وأحس منذ ثلاثة شهور بأنه لا يملك ما يساعده على الاسمرار للوصول باختراعه الى اقصى حالات الدقـــة والاتقان فلجأ الى عمى بيرت فى طلب المساعدة .

وصمتت الفتاة ، وكان الرجل يصغى اليها بانتبـــاه ، وعقله يعمل بسرعة ، فأرسل من فمه سحابه من الدخان ، نظر من خلالها بأمعان الى وجه الفتاة بنظرة صريحـــة فاحصة نفاذة وقال :

ــ وقد ساعده نور ثويد طبعا ٠
ــ ان عمى اقرضه خمسة الاف دولار بضمان اسمى ٠٠٠
أو هكذا قال له ، ضمان اسمى لا اهمية له ، وهو عبارة عن طائفة من الوثائق امضاها ابى للشكليات فحسب ، واظنك ادركت معنى هذا ٠
ــ اظن ذلك ٠
ــ انّ تصميم الاختراع موجود الان فى خـــزانة عمى بقصره فى (سان كلو) وهذا التصميم هو عصارة ذهن أبى ، وخلاصة تفكيره وعلمه وجهــــوده فى عشــرات الســنين ٠
وتوجد مع التصميم فى الخزانة ورقة بخط أبى تقــول ان الاختراع اصبح ملكا لعمى ، وله كل امتيازاته ومن حقه ان يستغله على الوجه الذى يريده ولم يقيد هذا الحق بحد أو تاريخ ، وكان المفروض ان ينتهى حق عمى فى الامتياز فى الموعد الذى يتم فيه سداد القرض ، ولكن الورقة لم يذكر بها شىء من ذلك ٠ لأن أبى رجــل طيب القلب ، لا يعرف الخدع القانونية ، وقد امضى هذه الورقــة فى غيابى لم اعرف بأمرها الا بعد فوات الوقت ٠
فقال الرجل فى هدوء :
ــ هل افهم من ذلك ان قصر عمك فى (سان كلو) هو المكان الذين تريدين السطو عليه الليلة ؟
فنظر اليه بأمعان ، دون ان يهتز لها هديب ، نظــرة صريحه تنم عن العزم وقالت فى هدوء :
ــ اصغ الى ايها الغريب ، ساظل ازعم ان هذه الليلة كلها حلم من الاحلام وان ما دار بينى وبينك هو جزء من

هذا الحلم لمتع ، ولولا ذلك ما صارحتك بكل هذا ، نعم، انني سأسطو الليلة على قصر عمى اذا استطعت ، وساحاول الاستيلاء على مفاتيحه وفتـــح خزانته وســـرقة تصميم الاختراع والوثيقة التى مضاها ابى ، اذ لا امل فى ان يتمكن ابى من سداد القرض ، عمى يعلم ذلك ، وقـــد اتخذ فعلا كافة الاجراءات اللازمة لبيع الاختراع لشـــركة السيارات (فورد) ولا توجد ايه وسيلة قانونية لمنعـه من عقد هذه الصفقة من القضايا التى يمنح فيها القانون تسعة اعشار ملكية الشيء لحائزه ،فاذا استرددنا العقد والتصميم فلن يجرؤ عمى بيرت على رفع الامر للقضاء وعـــرض تفاصيل الصفقة علانية ، لانها صفقة مخـــزية له ، ويجب عليه ان يبسطها امام القضاء اذا اراد المطالبة بشيء ، فهل ترى فيما اعتزمت خروجا على الصواب والمنطق ؟

ـ الى حد ما .

فقالت وهى تحرك الكأس بين أناملها :

ـ ربما ، ولكن حدثنى أيها الغريب ، هل سمعت عن شخص يدعى لوبين ؟

ـ فاجاب الرجل فى بساطة :

ـ أرسين لوبين ؟ ومن ذا الذى لم يسمع عنه ؟

انني قرأت وسمعت عنه الكثير وأحسب أنه الوحيد الذى يستطيع القيام بهذه المغامرة . انها مغامرة عادلة رغـــم ماتنطوى عليه من خروج على القانون ، فليتنى أستطيع مقابلته ، فان مثله خير من يفهم هذا الموقف على حقيقته .. أنت كذلك انسان حسن الادراك أيها الغريب ، وقد أصغيت الى فى صبر واناة وقد رفه ذلك عنى وساعدنى على المضى فى سرد قصتى الى النهاية ، والآن ارجوك ان تنسى او

كل ما سمعته ولنتحدث فى شىء آخر .. أى شىء آخـر بـروقك .

فملأ الرجل قدحه ورفعه فى يده ، وقال وقـد أشـرق وجهه فجأة :

ـ لا أظن اننى سأنسى او أتناسى يا اميلى ، أنا أرسين لوبين ، ولم تخلق بعد الخزانة التى أعجز عن فتحهـا وسنذهب معا الى سان كلو .

قالت الفتاة : هو ذا القصر .

وأوقف لوبين السيارة .

كانت سيارتها وقد تركته يقودها .

ووجد لوبين نفسه أمام قصر فخم مشيد على الطـراز النابليونى فوق أكمة بعيدة عن الطريق وتحيط به حديقـة مترامية الأطراف .

غادر السيارة ووقف يتأمل القصر وخيل اليه بعد قليل أنه يعرف كل ركن فيه كما لو كان أقام به عدة أعوام ، فقد نقلت اليه الفتاة بوصف مسهب لمداخل القصـر ومنافـذه وقاعاته وأروقته ، ورسمت له على ورقـة فى المطعم وهما يتناولا اقداح القهوة صورة صحيحة عن مواقع الغرف ومكان الخزانة من الغرفة التى يدعوها عمها (لغرفة الصفراء) .

وكان الليل قد انتصف أو كاد ، والسماء مظلمة لا قمر فيها ولا نجوم ، كانت ليلة صالحة للمغـامرة من جميـع الوجـوه .

قالت الفتاة : اننى مازلت أجهل لمـاذا تتكلف هذا العناء وتجازف من اجلى .

فأجاب : لاننى أحب هذا النوع من المغامرات ؟ ان لى

رأيا خاصا فى نورثويد وكنت اتوق الى مثل هذه الفرصة منذ وقت طويل ، ولو قد سمعت بقصتك وأنا على بعد مئات الاميال لما تردد فى القدوم .

ــ الا ترى من الاوفق ان ارافقك ؟

فأجاب وهو يشتم الهواء النقى ملء رئتيه :

ــ هذه مهنتى وانا ادرى بها منك .

ــ ولكن هب ان عمى استيقظ من نومه .

ــ سأعرف فى هذهِ الحالة كيف اجعله يعود الى النوم.

ــ واذا فاجأت الخدم ؟

ــ اشد وثاقهم واقذف بهم من النوافذ .

ــ ولكن هب انه قبض عليك ؟

فأجاب ضاحكا : فى هذه الحالة يكون العالم قد قرب من نهايته ، ولكن لا تقلقى ، وعلى فرض وقوع هذا فلابد من حدوث ضجة تبلغ الى مسامعك وتنبهك الى الخطر وعندئذيتعين عليك ان تهربى بالسيارة الى باريس ، وتنتظرى النتيجة هناك ، انها اصبحت مغامراتى .. لا مغامراتك .

قال ذلك ومشى الى سور القصر بسرعة القط وخفته.

لم يرى نورا فى النوافذ ولكنه دار بالقصر ليكون على يقين . وكانت عيناه قد ألفتا الظلام فلم يحدث أية حركة تنم عن وجوده .

وما هى الا دقائق حتى كان قد وثب فوق السور واجتازا الحديقة ووقف أمام الباب الداخلى .

كان بابا ضخما من الخشب السميك فلم يكلف لوبين نفسه عناء معالجته واستقرت عيناه على نافذة فى الطابق الارضى ، كان فتحها بالنسبة اليه لعبة أطفال .

وما هى الا لحظة حتى فتحت النافذة فوثب منهــا الى الداخل ووجد نفسه فى مطبخ القصر فاضاء مصباحـــــه وأجال الطرف حوله ووقع بصره على لوحة المفاتيـــــح الكهربائية التى تتحكم فى انارة القصــر ، وآها فى نفس المكان الذى ذكرته اميلى فسار اليها وانتزع المفاتيح وقطع تيار الاضاءة واحس بالطمأنينة .

واذا احس به اهل القصر فانهم سوف يتخبطـــون فى الظلام ويتعذر عليهم مطاردته .

ثم سار الى صالة القصر ورفع مزاليج الباب الكبير .

لقد كان يدين بحريته لبعد نظره وحرصه دائمـــا على اعداد منفذ أو منفذين للافلات اذا تحرجت الامور وحدث ما لم يكن فى الحسبان .

ثم قصد بعد ذلك الى (الغرفة الصفراء) فى المـــكان الذى وصفته (أميلى) واهتم بفتحذ نافذتها قبل اهتمامه بالبحث عن الخزانة .

لقد قالت له اميلى ان الخزانة موجودة داخل الجـدار وراء احد دواليب الكتب فاذا فتح باب الدولاب ظهـــرت الخزانة .

وقد وجد الخزانة حيث وصفتها اميلى ، وما ان سقــط عليها ضوء مصباحـــه الكهربائى حتى ادرك انها ليست من النوع الذى يفتح ببساطة .

لم يتعود لوبين انه يحمل أدوات العمل ، ولا ان يحشو جيوبه ـ كما يفعل بعض المبتدئين ـ بالمواد الحـارقة او الناسفة أو بأجهزة اذابة الفولاذ فصح عزمه على فتـــح الخزانة بمفتاحها فتسلل الى خارج الغرفة وصعد الســلم بخطى لا تسمع وقصد الى حيث يوجد مخدع نورثويد .

وكان نورثويد مستغرقا فى نومه وهو يغط بصـــوت مسموع ، ولو انه كان مستيقظا لما سمع حركة فتح الباب أو وقع خطى لوبين وهو يتسلل الى الداخل ثم وهو يتناول حزمة المفاتيح من درج المائدة الصغيرة المجاورة للفراش ، أو وهو ينتزع من حول عنقه سلسلة ذهبية يتدلى منها مفتاح قد يكون هو مفتاح الخزانة .

وهبط لوبين درج السلم كأنه شبح ، وعـاد الى الغرفة الصفراء وسلط نور مصباحه على باب الخزانة واختار من بين المفاتيح واحدا رجح انه المفتاح المطلوب .

وما ان وضع المفتاح فى قفل الخزانة واداره حتى فتح بها بحركة ادخلت السرور على قلبه فمد يده المقفزة وفتح درجا كبير فى قاع الخزانة ووجد حزمة من الاوراق مربوطة بخيط وقد كتب على ظاهرها بحروف كبيرة (جهـــاز القيادة الاوتوماتيكى) .

وقطع لوبين الخيط وبسط الاوراق بين يديه فـــرأى الرسوم التصميم ووثيقة قانونية ورسائل من بعض مصانع السيارات فى امريكا .

وقضى لوبين الدقائق العشرة التالية فى عمل غامض استغرق كل تفكيره وعنايته فلم ينتبه الى حركة خافتـــة مبهمة كان من الممكن ان تلتقطهـــا اذناه الحساستان لولا انشغاله بالذى بين يديه .

على انه لم يلبث ان شعر بالخطر حين سمع وقع اقدام فتحرك بحذر الى الشرفة الملحقة بالغرفة ، واقترنت هـذه الحركة لمسات خشنة ، وكان ذلك كله مفاجأة له فرفع رأسه واجال النظر حوله كمن لا يصدق اذنيه .

وفى هذه اللحظة وقع بصره مصادفة على الخزانة التى اغلقها فى التو واللحظة ، وحينئذ تبين وجـــود انبوبة معدنية رفيعة ممتدة من الجدار الى احد اركان باب الخزانة ، وأدرك على الفور ان هذه الانبوبة هى جزء من جهاز الانذار مثبت بالخزانة ، ولابد ان يكون هذا الجهـــاز بمعزل عن التيار الكهربائى الذى يضىء البيت ٠

ولم تكن اميلى قد ذكرت له شيئا عن الجهـــاز ، ومن المحتمل ان يكون نورثويد قد احتفظ بأمر الجهاز سرا فلم يتحدث به الى احد ٠

وأطفأ لوبين مصباحه الكهربائى على الفور ووثب نحو باب الغرفة وفتحه فى حذر وخرج الى الصالة ٠

وحينئذ وجد بينه وبين الباب الخارجى خادما ضخمـا الجثة يحمل فى يده هراوة غليظة ٠

ونظر الى الردهة الضيقة الموصلة الى المطبـخ ، ورأى خادما نحيف الجسم مفتول الساعدين يتقدم نحوه بخطى لا تكاد تسمع ٠

وأرسل بصره الى السلم ، وهـــو المنفذ الاخير ، ورأى نورثويد واقفا اعلاه وباحدى يديه شمعة مضـاءة ، وبيده الاخرى مسدس ٠

ولم يفقد لوبين صوابه وتلاعبت على شفتيه ابتسامة وقال فى أدب :

ــ طاب مساؤكم أيها السادة !! يؤسفنى اننى اقلقتكم هذه الساعة المتأخرة من الليل ٠

ثم نكص على عقبيه وعاد مسرعا الى (الغرفة الصفراء) واغلق بابها وراءه بصوت مسموع ٠

وكانت جرأته قد أذهلت الخادمين فجمدا فى مكانهما لحظة ثم هجما على الغرفة الصفراء فى وقت واحد ، ولحق بهما نورثويد ولكنه لم يجازف بالدخول بل وقف بالبـاب ورفع الشمعة فوق رأسه ليتسنى له رؤية ما يحـــدث فى الداخل .

ووقف الخادمان فجأة ولم يصدقا عيونهما ، فقـد كانت (الغرفة الصفراء) خالية تماما .
ولكن الخادم الضخم كان اسرع من زميله فى اسـترداد أنفاسه فمشى الى مقعد كبير فى ركن الغرفة واطل وراءه ، وتشجع الخادم الآخر واسرع الى ستار النافذة وحركه ووجد النافذة مفتوحة .

وبينما الخادم الضخم يحرك المقعد ، وزميله يطل من النافذة ، وثب لوبين من فوق سلم وراء الباب كان يستخدم بغير شك للوصول الى الرفوف العليا بدواليب الكتب وهبط بكل ثقله على رأس نورثويد فأفلتت من فم هـــذا الاخير صيحة ذعر وسقطت الشمعة من يده وانطفأت فدفعه لوبين الى داخل الغرفة واغلق بابها .

قال لوبين : لا يزال لدينا متسع من الوقت لقضاء ساعة فى احدى المراقص .
فذعرت الفتـاة ونظرت حولها ورأت لوبين يخـرج من الظـــلام .
قالت وهى تلهث : هل كان من الضرورى ان تخيفنى على هذا النحو ؟

ولكنه ضحك ونظر وراءه الى القصر حيث سمع ضجـة كان وقعها فى اذنيه اعذب من انغام الموسيقى .

ووثب لوبين الى السيارة وادار محركها فسألته الفتاة :
ـ وهل حدث ما لم يكن فى الحسبان ؟؟
فأجابها : لم يحدث ما يتعذر تلافيه .
وانطلقت بهما السيارة تسابق الريح واشعل لوبين لفافة تبغ راح يدخنها فى هدوء ولذة .
سألته هل حئت بكل شىء ؟

ـ ألم أقل لك اننى لا اعرف المستحيلات ؟
ـ ولكن الضجة ..

ـ يبدو ان الخزانة كانت متصلة بجهاز للانذار لم يكن لك به علم ، على ان وجود الجهاز لم يغير من الامر شيئا ، لقد وصل الاغبياء بعد فوات الوقت ولو قد رأيت ضخـــامة أجسامهم لعرفت سبب ابطائهم .
فأمسكت ساعده بانفعال وهتفت :

ـ اننى لا اكاد أصدق اذنى ، لقد انتهى كل شىء الآن ، من ذا الذى يصدق اننى اشتركت مع ارســين لوبين فى مغامرة !! أرسين لوبين بلحمة وعظمة هل ثمة مانع من أن أعبر عن اغتباطى ؟؟

ومدت يدها الى زر نفير السيارة وراحت تضغطه بحركة منتظمة فارسل نغمة موسيقية مرحة .
وابتسم لوبين .

انه نفسه لا يكاد يصدق ان الامر تم بهـــذه البســاطة والسهولة .
لقد كانت ليلة سعيدة منذ البداية .

وتحول بالسيارة فى انحناءه بالطريق وحينئذ رأى امامه

فجأة صفا من المصابيح الحمراء فقال وهو يضــــغط على فرامل السيارة :

ـ لم تكن هذه المصابيح هنا عندما جئنا •
وأحس بأن زميلته قد صمتت فجأة وجمدت فى مكانها •
همست : ترى ما هذا ؟

ولكنه هز كتفيه واوقف السيارة على بعد ثلاثة امتار من المصابيح الحمراء التى خيل اليه انها مثبتـــة فى لوخ من الخشب موضوع فى عرض الطريق •

وكان الظلام دامسا فلم يتبين لوبين شيئا وراء المصابيح ولكنه أحس بشىء معدنى بارد يلتصق برأسه فتحـــول بسرعة ، ورأى فوهة المسدس ، ورجلا يرتدى معطفا قد وقف بجانب الســـيارة •

قال له الرجل فى هدوء مخيف :
ـ لا تأت بحركة •
وأحس لوبين بحركة بجواره ، فنظر من ركن عينه واذا بالفتاة تغادر السيارة •
قالت وهى تغلق الباب :

ـ هنا تنتهى رحلتى أيها الغريب •
فغمغم لوبين فى رفق : حسنا •
وقال الرجل الممسك بالمسدس بلهجة الامر :
ـ اعطنى الاوراق •

فأخرج لوبين من جيبه حزمة الاوراق وتناولتها الفتاة، واقتربت بها من مصباح السيارة وقرأت على ضوئه ما كتب على الحــزمة •

وتأملها لوبين وهى تفعل ذلك وأعجب بخصلات شعرها الذهبى والنسيم يتلاعب بها ٠
وعادت الفتاة الى نافذة السيارة وقالت تحدث لوبين :
ـ ليس لبيرت نورثويد أى شقيق يعمل استاذا فى (تورونتو) ، وليست لى صلة بأسرة نورثويد ، وفيما عدا ذلك فان كل ما ذكرته لك صحيح ٠

لقد اشترى نورثويد هذا الاختراع من مخترع رومانى شاب ، ولا أعلم كم دفع له ثمنا للاختراع ٠ ولكنه اشتراه فعلا ٠
والاختراع لم يسجل الى الآن ،وأهم شىء فى الاختراعات التى من هذا النوع بالنسبة الى المصانع ، ان يظل الاختراع سرا حتى يتمكن المصنع من انتاجة قبل غيره بحيث يسبق به أى مصنع آخر ، وقد كان نورثويد على وشك أن يبيع الاختراع لمصانع سيارات فورد كما قلت لك ٠
فسألها لوبين فى فضول :

ـ وماذا فى نيتك أن تفعلى به ؟
ـ ان لدى عرضا من (هنرى كايزر) صانع السيارات الامريكى المشهور وقد قبلت العرض وسأبيعه الاختراع ٠
قالت ذلك وسارت الى حيث كانت اللوحة الخشبية التى شدت اليها المصابيح الحمراء فأزالتها من مكانها وأفسحت الطريق ٠
ثم عادت الى لوبين ونظرت اليه بالعينين الصريحتين اللتين أعجب بصفائهما فى المطعم وقالت :
ـ اننا قضينا اسبوعا فى الاستعداد والتأهب لهذه المغامرة وكان فى نيتنا القيام بها بأنفسنا هذه الليلة لولا اننى التقيت

بك فى الفندق وعرفتك من صورة نشرتها لك احدى الصحف منذ بضع سنوات .

وكل ما حدث منذ لقائنا كان مجرد وحى جاءنى عفـو الساعة وبعد ، هل هناك ابدع من ان يسخر الانسان اعظم خبير فى المهنة لخدمتة وتحقيق اغراضه ؟

فسالها لوبين : فى اية صحيفة رأيت صورتى ؟

ـ فى صحيفة (الابريس) لماذا ؟

ـ آه ، كان ذلك منـــذ ثلاثة اعوام ، اننى اهنئك لحدة ذاكرتك وقوة ملاحظتك يا آنسة .

فضحكت ضحكة هادئة تجمع بين المرح والاسى وقالت :

ـ اننى آسفة أيها الغريب ، لقد طابت لى صحبتك كثيرا

فأجابها : اننى لا اقل عنك اسفا يا اميلى .

فصمتت لحظة ، ثم انحنت الى الامام فجأة وطبعت على شفتيه قبلة سريعة .

وقال الرجل الآخر وهو يحرك المسدس فى يده :

ـ امض فى سبيلك ولا تتوقف .

ـ الا تريدون سيارتكم ؟

فضحك الرجل بخشونة واجاب :

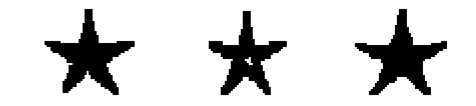
ـ ان لدينا سيارتنا ، اما هذه السيارة فقــد استأجرناها من احد (الجراجات) خصيصا لهذه المهمـــة ، امض فى سبيلك .

فأدار لوبين محرك السيارة ، وصاحت الفتاة :

ـ وداعا أيها الغريب .

فرد لوبين تحيتها بحركة من يده ! دون ان ينظر وراءه! وانطلق بالسيارة يسابق الريح .

مهما يكن من أمر الفتاة ، فانه قد قضى معها سـهرة ممتعة حافلة بالمفاجآت التى يعتبرها محور حياته ! وقـد كره ان يتصور ما سوف تقوله الفتاة عنه عندما تبسـط الاوراق بين يديها وتكشف انها اوراق زائفة اصطنعها بسرعة فى (الغرفة الصفراء) بينما احتفظ هو لنفسه بالتصـميم لحقيقى للاختراع الخطير .



القســـم الثــانى

جـــواهر المـلـــكة

جلس الرجلان فى مطعم (أرنو) وبينهما قدحــان من النبيذ الفاخر .

كان احدهما قصير القامة متجهم الوجه . تنم النظرات التى يختلسها الى زميله بين الفنية والفنية عن ريبته فيـه وعدم ثقته . كان كمن يجلس ثعبانا يخشى ان يلدغه فى أية لحظة .

أما الاخير ، فكان طويل القامة حاد التقاطيع لا مــع العينين ، بنظراته مزيج من المرح والسخرية .

قال الاول دون ان ينظر الى جليسه :

ـ عجبا لك يا بارنيت ، انك تضيع الكثير من وقتك فى النهاية بتوافه الامور .

والواقع ، لماذا يهتم انسان مثلك بدراسة انواع الانبـذة والخمور ومعرفة طريقة صنعها وخصائص كل منها . وهى مسائل لا يهتم بها غير الذين يتجرون فى الخمور على نطاق واســع .

فابتسم بارنيت واجاب :

ـ ان الذين يعملون فى مهنتنا يا عزيزى بيشو ، يشعرون احيانا بأن هناك اشياء ينقصهم فيها العلم .

فالميدان الذى تجول فيه وتصول ، لا يضم فقط جيادا تحاول الوصول الى الهدف قبلك ، وانما تضم كذلك كلابا تحاول ان توقع به وتقطع عليك السبيل ، والعناية بمعرفة الاشياء الصغيرة قبل الكبيرة كثيرا ما تحقق لصاحبها النصر .

انظر الى مثلا ، اننى حين اتناول هذا القدح لارفعه الى شفتى ، لا افكر فى متعة ارتشاف النبيذ بقدر ما افكر فى الاعناب الذهبية التى صنع منها ، وفى الاسماء الخالدة التى اقترنت باجود انواع الانبذة ، ان لبعض هذه الاسماء رنينا اعذب من انغام الموسيقى ، شمبرتاس . رومانية ، كونييه ، ويشبورج ، فوجيو ، ولا تملك كذلك من التفكير فى العظماء الذين استبعدهم عصير الاعناب .

اولئك (السكارى الخالدون) كما اسماهم رابليه ، من امثال اوجست العظيم ملك سكسونيا الذى رزق بثلاثمائة وخمسة وستين ولدا بين شرعى وغير شرعى ومات من الافراط فى الشراب فى احتفالاته بأعياد ميلاد اولاده ، ودون كلارنسى الذى غرق فى برميل خمر ، كذلك لا اتمالك حين اتناول النبيذ او اتحدث عنه من التفكير فى اللآلىء التى ..

فهتف المفتش بيشو :

ــ آه . لقد كنت حائرا لا ادرى كيف اقحم موضوع اللآلئ فى حديثنا .

ــ ما أوثق الصلة بين اللآلىء والنبيذ

الم تعلم ان اللآلىء تذوب فى النبيذ ؟

الم تقرأ ان اباطرة الزمان كانوا فى مباذلهم يذيبون اللآلىء فى النبيذ ليثبتوا أنهم لا يقيمون وزنا للمال ؟

الم تسمع عن المأدبة الضخمة التى اقامتهـــا كيلوباترا لقيصر حين قدمت اليه بيدها قدحا من الخمر أذابت فيـه لؤلؤة لا تقدر بثمن ٠ ؟

اذا لم تكن قد قرأت او سمعت عن كل هـــذا يا عزيزى بيشو فأنت رجل جاهل لا تصلح مفتشا للبوليس ٠

فرمق بيشو صديقه وغريمه بنظرة صاعقة واجاب :

ـ دعك مما قرأت وسمعت ، ان ما اريد معرفته الان هو مدى اهتمامك بجواهر الليدى أوبنهايم التى يلقبونهـــا بملكة المـــاس ٠

فتنهد بارنيت وأجاب :

ـ انك تشعرنى بالخجل من نفسى يا بيشو كلمـــا فكرت فى انى اتخذت صديقا لا يهتم لغير الماديات الزائلة ٠ لقد دعوتك لتتناول معا طعاما شهيا ، ونتنعم معا ببضع كؤوس من جيد النبيذ ، وكنا منذ لحظة نقوم بجولة شـاعرية فى ربوع التاريخ بين الاساطير الخالدة ٠

واذا بك تهبط فجاًة الى عالم الاثم والاجرام ٠ وتتهمنى بالتدبير للحصول على لآلىء تلك الارملة التعسة ٠

فقال بيشو بصوت ينم عن الارتياب :

ـ بل انى سأمضى الى ابعد من ذلك واسألك : هـــل اختيارك هذا المكان لتناول الطعام كان مجرد صدفة ؟

ـ وهل يخامرك شك فى ذلك ؟

لقد خيل الى ان مكان هادىء انيق نستطيع ان نقضى فيه وقتا طيبا ٠

ـ الم يقع اختيارك على هذا المكان لانك علمت بطريقة ما أن الليدى أوبنهايم ستحضر اليه ؟

ـ كلا طبعا ٠

ـ اذن فوجودها هنا الآن مجرد مصادفة !

ورفع بارنيت حاجبيه فى بطء ٠

وقال بيشو دون ان يحول عينيه عن وجه محدثه :

ـ انها خلفك الى اليسار ٠

فاحتسى بارنيت قدحه فى هدوء ونظر من فوق كتفه بقلة اكتراث ٠

فلم يكن بحاجة الى من يرشده الى الليدى أوبنهايم فقد نشرت لها الصحف المجلات عشرات الصور ، وكتبت عن ثروتها من اللآلىء والاحجار الكريمة ما جعل صورتها تنطبع فى ذهنه ٠

كان زوجها اللورد أوبنهايم رئيسا لاتحاد تجار الماس ٠ وصاحب أغنى مناجم الماس فى جنوب افريقيا وقد توفى فى العام الماضى وترك لزوجته ثروة طائلة من الاموال والاسهم والاحجار الكريمة ولعل ابدع ما تركه لها ذلك العقد من اللؤلؤ الوردى الذى ابتاعه من احد مهرجانات الهند بمائة الفا من الجنيهات ٠

وكانت الليدى نحيفة الجسم بارزة العظام لها وجه كوجه الجواد الاصيل ولم يكن بارنيت بحاجة الى اطالة النظر نحوها لكى يعرف الكثير من خلقها وطباعها ومع ذلك فقد طالت نظرته اكثر مما ينبغى واستقرت عيناه لحظة على وجه الفتاة الفاتنة الذهبية الشعر التى كانت برفقة الليدى

قال بيشو بصوت خشن :

ـ هــه .. ما رأيك ؟

ـ جميلة جــدا .

ـ طبعا .. لقد قدر ثمنها بمائة ألف جنيه .

فهتف بارنيت فى سذاجة :

ـ هل تعمنى اللآلىء ؟ اننى لم انظر اليها .. نظرت الى ابنــه الليدى .

ـ ليس لليدى بنات ، واكبر الظن انها احدى صديقاتها أو مرافقاتها والان ، دعك من هذا العبث ولا تحــاول أن تخدعنى ، اننى عندما علمت بقدوم الليدى اوبنهــــايم ، ادركت على الفور انك لن تدعها وشأنها ، ولهذا جئت لكى احذرك اننى وضعت الليـــدى تحت المراقبة ٢٤ ساعة فى اليوم فاذا رآك احد رجالى تحوم حولها او اذا حدث لعقــد اللؤلؤ أى حادث فسأبادر الى اعتقالك فورا ولو كنت فى المريخ .. تذكر هذا جيدا .

قال ذلك ونهض واقفا وانصرف غاضبا فشيعه بارنيت ببصره حتى توارى ، وفى هذه الحظة دعيت الليـــــدى اوبنهايم الى التليفون فغادرت مائدتها .. ونظر بارنيت الى الفتاة والتقت عيونهما ، ونكست الفتاة بصرها وتناولت علبة ثقاب كتبت عليها بضع كلمات بقلم اخرجتـــه من حقيبتها .

وبعد قليل ، وضعت احد الخدم علبة الثقــــاب أمــام بارنيت فقرأ فيها :

« ٢٧ شارع ببانفيل » .

« الساعة العاشرة والنصف » .

وفى الموعد المحدد كان بارنيت يصعد درج سلم « المنزل رقم ٢٧ الشارع بيانفيل » وكان المنزل عتيقا يتـــألف من طابق واحد ، فطرق بارنيت الباب وفتحت الفتاة بنفسها فأحنى لها قامته فى حركة ساخرة .

وقال فى تهـكم :

ـ طاب مسـاؤك .

فأجابت فى هـدوء :

ـ وطاب مســاؤك .

وتقدمته الى قاعة الاستقبال وهناك سالته :

ـ ماذا تشـرب ؟

ـ اريد قدحا من الويسكى اذا سـمحت .

وجاءته بما طلب فأزداد الشراب فى جرعة واحدة وقال:

ـ انه شراب جيد ، أرى انك مازلت كالعهد فتاة فاتنة انيقة . اعتقد ان شيئا واحدا فيك قد تغير ، عندما رأيتك لأول مرة كنت تدعين نورثويد.فلماذا تسمين نفسك الآن؟!

ـ جانين روجيه وهو اسمى الحقيقى .

ـ اسم جميل ، عندما تقابلنا أول مرة ، حـــاولت ان تجعلى منى مخالب القط ونسيت المثل القائل (من حفـر حفرة لاخيه . الخ ..) .

فعضت شفتها وقالت :

ـ ليس لى ان اشكو . لقد بادأتك بالعدوان ، وقابلتنى بالمثل وهكذا لم يبق بيننا حســاب .

ـ هذا بديع ، هل أفهم من ذلك انك دعـــــوتنى الى مقابلتك هنا لنحتفل بابرام أم للصلح بيننا .
فاحمر وجهها قليلا وقالت :
ـ عندما رأيتنى مع الليدي اوبنهايم . ادركت اننـــا سنلتقى عاجلا أو آجلا . واننى لا يجب ان اخدع نفسى ، ولهذا قررت أن اكون صريح معك .
ـ هل خطر لك اننى اسعى وراء عقد اللؤلؤ ؟
ـ اذا لم تكن قد سعيت فعلا . فأنت بسبيل السعى الآن . ولمــاذا تعترض ؟ لمــاذا لا نعمل معا ؟
ـ هذه فكرة سليمة . ولكن كيف نقتسم الغنيمة ؟
ـ مناصفــة طبعــا .
ـ اتفقنا يا جانين . هاتى يدك وتعالى .
وأدرك بارنيت فى تلك اللحظة التى لمست فيها يدهــا انها تضمر له الشر والخيانة ولكنه لم يكف عن الابتســام . ســألها :
ـ وهل فكرت فى خطة للعمل ؟
فأطرقت برأسها قليلا ثم قالت :
ـ لقد اتيحت لى اكثر من فرصة لفحص العقد ، وتمكنت من احصاء عدد حباته وأنا انظاهر بالاعجاب به ، وقــد طلبت الى بعضهم فى امستردام بهولندا ان يصنع لى عقدا زائفا يماثله فى لونه وعدد حباته ، ومتى ورد العقد الزائف فليس أيسر من استبداله بالعقد الحقيقى .
فنظر اليها بارنيت باعجاب وسألته الفتاة :
ـ والان انبئنى أنت . ماذا كانت خطتك .
ـ لم تكن لى خطة على الاطلاق ، لانى لم اكن اعــرف

الليدى اوبنهايم • ولم افطن الى عقدها ولم يكن لى قط أى غرض سىء • الى ان اثارالشخص الذى كان يتناول الطعام معى فضولى وشغفى بالآلىء الفريدة • وبهذه المناسـبة هل تعرفين من كان ذلك الشخص ؟ انه مفتش البوليس بيشو • وهو من اعز اصدقائى •

فصعدته بعينيها وكأنها خطر لها انه يريد الايقاع بها ثم تلاشت مخاوفها وريبتها حين رأت نظراته البريئة • سألها:

ـ متى سيرد اليك العقد الزائف ؟

ـ غدا ، أو بعد غد •

ومرة اخرى أحس بارنيت بأن الفتاة تخدعه •

قال وهو يقدم لها كأسـه لتملأه :

ـ وبمناسبة الحديث عن بيشو • أرى من الحكمة الا يرانا معا فى الخـارج •

وحانت منه التفاتة الى المطبخ وكان بابه مفتـوحا ، فهتف :

ـ خطر لى خاطر • وما دمنا لا نستطيع تناول الطعام معا فى المطاعم العامة •• فاننا نستطيع ان نتناوله معـا هنا •• سأحضر معى غدا بعض المواد ، وسأطهو طعـاما شهيا •

★ ★ ★

وفى اليوم التالى ، ذهب اليها حاملا حقيبة مليئة بالمواد الغذائية واشعل الموقد وبدأ فى العمل •

ونظرت جانين الى اللفائف التى احضرها والقنانى التى وضعها أمامه وسألته :

ـ ما هـذا ؟

فأجاب وهو يشير عن ساعديه :

ـ سأطهو لك طعاما لم تذوقيه فى حياتك اشهى منه ،

ساضع لك حساء على الطريقة الالمانية ، حساء من ذيـــل الثور ، مطهوا بالنبيذ الفاخر انه سيستغرق وقتا طويلا ، ولكن ستعجبين به •

فقالت ضاحكة :

ـ سيستغرق وقتا طويلا ! الا نتناوله فى المساء

ـ اظن اننا لن نستطيع ذلك ، لابد أن يظل فوق الموقد الليل بطوله ، وسالحق بك ليلا لكى اضع النبيذ بالقـــدر الكافى •

ـ ومتى ستحضر ؟

ـ لا أعلم على وجه التحديد ، حبذا لو اعطيتنى مفتاحا الشقة حتى استطيع الدخول اذا عوقتك اعمالك عن القدوم فى الوقت المناسب •

ـ حسنا ، سأثبت لك حسن نيتى وسأعطيك مفتـــاحا لشقتى •

★ ★ ★

وبعد ظهر ذلك اليوم ، فوجىء لوبين ببيشو يزوره فى مكتبـــه •

والقى مفتش البوليس بنفسه على احـد المقــاعد وسأل صـــديقه :

ـ ارجو ان تكون قضيت وقتا طيبا صباح اليوم •

ـ شكرا لك ، ولكن ماذا تعنى ؟

ـ احسب اننى حذرتك ونصحتك بالابتعاد عن الليدى اوبنهايم •

ـ من قال لك انى أقتربت منها •

ـ اننى اعنى تلك الفتاة ، جانين روجيـه ماذا (تطبخ) معهـا ؟

ـ اننى أصنع معها حساء من ذيل الثور •
فنظر اليه بيشو شرزا وقال :
ـ يجب ان تعلم اننى لا اقضى وقتى سدى ، عندما رأيت تلك الفتاة بصحبة الليدى اوبنهايم ، رجعت الى ملفـــات البوليس وعلمت ان ماضيها حافل ، فوضعتها تحت المراقبة وعلمت انك تتردد عليها وقد كنت فى شقتها صباح اليوم •
فنظر بارنيت الى صديقه بحدة ثم لمعت عيناه وقال :
ـ ان رجل فى مثل مركزك يحسن به ان يحزم حقيبتــه فوراويغادر باريس الى ان ترحل عنها الليدى اوبنهايم •
ـ شكراً لك على هذه النصيحة يا بيشو ، سافكر فيها جيدا ، هل تستطيع تناول طعام العشاء معى الليلة ؟ انها قد تكون سهرة الوداع •

★ ★ ★

اطفأ بارنيت نور المطبخ وأطل داخل النافذة •• ورأى يتحرك فى الظلام أمام المنزل ، ثم رآه يقابل رجلا آخـــر ويتحدث اليـــه ••

كان ذلك الرجل قد تعقبـــه حتى وصـــل الى البيت ثم توارى فى الظلام وظل يراقب البيت •• ولابد انه كان الآن يتحدث الى احد زملائه •

وغادر بيشو المطبخ ، وتسلل الى قاعة الاستقبال ،وأطل من نافذتها ورأى احد رجال البوليس السرى يروح ويجىء خلف البيت ••
كان البيت محاصرا ، وموضوعا تحت رقابة شديدة •

ولكن لمـاذا ؟

وحول منتصف الليل ، عادت جانين وسمع بارنيت وقع اقدامها على درج السلم ثم فتح باب الشقة ودخلت الفتـاة كنسمة من نسمات الربيع .

قالت له بمرح :

ـ هالو .. ارجو الا تكون انتظرتنى طويلا .. فأجابها بلهجـة خطيرة :

ـ احكمى غلق الباب .. ان الوقت ضيق ولا يجب ان نضيع لحظة واحدة .. ان البيت محاصر ، ورجال البوليس يعرفون كل شىء عنك .. لقد انبأنى بيشو بذلك ، انظرى من النوافـذ .

وهنا بدرت من جانين حـــركة غير ارادية اذ اطبقت بأصابعها على حقيبتها بشدة ..

ولاحظ بارنيت هذه الحركة وقال :

ـ اعطنى هذه الحقيبة .

واشتد طرق اباب فصاح بها :

ـ ايتها الحمقاء . ماذا سيكون مصير بشرتك الناعمـة بعد عشرة اعوام تقضينها فى السجن ؟.

وتناول الحقيبة من يدها وقال لها :

ـ اذهبى وافتحى الباب .. واسرع الى المطبخ .

ودخل بيشو وعلى وجهه دلائل الفوز يحدث الفتـــاة

ـ انا مفتش البوليس بيشو .. ولابد ان يكون لوبين قد حدثك عنى . جئت الآن فى طلب الليدي اوبنهايم .

وفى هذه اللحظة خرج لوبين من المطبخ ، ورأى بيشو فى يده حقيبة جانين فقال :

ـ آه .. هذا يوفر علينا كثيرا من المتاعب .. معذرة..

واختطف الحقيبة وعبث بداخلها .

فقالت بارنيت :

ـ ان عيبك الرئيسى يا صديقى هو انك لا تنصت جيـدا لمـا يقال امامك . هل تذكر حديثنا حـين قلت لك أننى اطهى ذيل الثور بالنبيذ ؟ ثم هل تذكر حديثى معك عـن كليوباترا وكيف انها اذابت لؤلؤة ثمينة فى قدح من النبيذ؟ ان ما فعلته كليوباترا استطيع ان أفعل مثله .

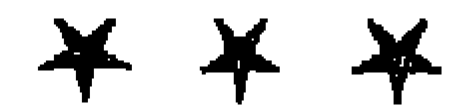
واندفعت الفتاة نحو المطبخ وبيشو فى اثرها . ولكنهما أغرقا اصابعهما فى وعاء الماء دون أن يجدا اثرا للعقد .

قالت بارنيت :

ـ يؤسفنى ان اقول لكما أن العقد تلاشى فى النبيـذ المغلى وربما كان من الافضل فى هذه الحالة ألا تعلم الليدى اوبنهايم ان عقدها قد استبدل ، ويستطيع الصديق بيشـو ان يقنعها بأن اللصة الحسناء داخلها الخوف فهربت قبـل ان تستبدل العقـد .

فصاحت جانيت وبيشو فى وقت واحد :

ـ يا لك من وغد !!



القســم الثالث

الطبيب الجهنمى

الفصـل الاول

اشعل لوبين لفافة جديدة ، ثم رشف جرعة اخرى مـن كاس الشراب الموضوعة أمامه ، ومضى يفـكر فى انه اذا احتاج القضاء على الاشرار ان يلقى رجل مثله شـيئا من العناء والمضايقات ، فلا ريب ان اشدها هو اضطراره الى الجلوس فى ذلك الوكر الذى يطلقون عليه اسم (قبوكوكى) ذلك الملهى الليلى العجيب المقام فى بدروم احدى العمارات الجديدة شرقى نيويورك ..

ولم يكن الشراب وحده مبعث ضيــق لوبين ، اذ كان مزيجا من المــاء المثلوج وقطرات طفيفة من الوسكى .. بل انه كان ينظر الى صفحة المحــار التى قدمت اليه ، فيرتد طرفه حسيرا وتتراجع يده وهى تأبى ان تمتد اليه .. اذ كانت الصفحة مليئة بسائل غريب ، تطفــو على سطحه قطع صغيرة من الثلج وتسبح بينها اربع محــارات هزيلة ادركت منذ أمد بعيد ان النضال فى سبيل الحيــاة والنمو عبث فى عبث ..

أما ثالثة الاثافى فهى تلك الضجة العجيبة المنبعثـة من فرقة الموسيقى ، فيخيل اليك ان كلا من افرادها الخمسة

يعرف لحنا غير الذى يعزفه زملاءه ! وتســـمع من ذلك خليطا من الأصوات المتنافرة العجيبة يزيدها قارع من الطبل ضغثا على ابالة فتشعر من ايقاعه كأن مطرقة عنيفة تهوى على رأسك بين لحظة واخرى .

وكان الهواء قد فسد لضيق المكان واكتظاظه بالحضور ، وامتزجت فيه رائحة العطور ودخان السجاير وانفـــاس المخمورين من زبائن كوكى السعداء الذين بلغت ببعضهم النشوه حدا جعلهم يجارون بالغناء مع الموسيقى وكل منهم يترنم باللحن الذى يحسب ان الفرقة تعزفه .

أما هؤلاء الزبائن السعداء ، فقد كان الرجال منهم من دوى الوجوه الشاحبه التى رسم عليها السهر خطـــوطا لا تمحى من التجاعيد ، والعيون الساهمة التى تطل منها نظرات جـوفاء تارة ، وتشـع منها ومضـــات من النهم والاشتهاء تارة اخرى .. على حـين كانت النســـاء من اللواتى يلبسن أدنى قدر من الثياب ويحتسين أوفى قدر من الشراب .. من ذوت الوجوه المصبوغة ، ولشـــعور المتهدلة ولعيون الناعسة الذابلة ..

وفى ذلك الجو الغريب جلس لوبين بمفرده فى صـــبر وحلم لاينفذان ، الى المائدة التى اختارها لنفسه ، وقـد غفل عن ان العميل الذى لا يجالس فتـــاة ، ولا يطلب زجاجة من الشمبانيا ، ثم يحتل المائدة بمفـــرده ، ليس بالذى تنظر اليه ادارة الملهى نظرة رضا أو ترحيب ببقائه طويلا ولذلك لم يلبث ان تقـدم اليه الساقى وهو رجــل شديد النحول ، ارتسمت فى محياه سمة ثابتة من الاكتئاب قائلا :

ـ هل يريد السيد شيئا آخر ؟

فمد لوبين ساقيه الى اقصى ما يسمح به المكان وهش فى وجه الساقى قائلا :

ـ كلا .. ولكن دع لى عنوانك حتى اذا اردت شيئا آخر ارسلت اليك رقعة بالبريد .

فحدجه الساقى بنظرة يتطاير منها الشرر .. ولكن نظرته ارتطمت بمنكبى لوبين العريضين وعضلاته المفتولة، وعينيه الساخرتين اللتين يبدو فى زرقتهما الصافية وميض كحد النصل ، واساريره المتناسقة التى تنم على ان صاحبها ممن يعدون النضال والعراك من الفنون الجميلة..وعندئذ استلانت نظرات الساقى فيها الدعة والاستكانة ، وقنع من الغنيمة بالاياب ..

وما كان لوبين بالذى يحتمل كل هذه المضايقات لغير سبب فورى .. وما كان ليصبر فى جلد على البقاء فى ذلك الوكر الذى لم يسمع باسمه قط من قبل ، الا لان صديقه هاملتون مدير مكتب المخدرات العام تحدث اليه تليفونيا من واشنطون منذ بضعة أيام وذكر له شيئا عنه ..

واستجمع الساقى شجاعته بعد برهة وعاد بوجهه الكثيب قائلا :

ـ هل ينتظر السيد أحدا ؟ ..

ـ نعم .. أنتظر كوكى .. فمتى تؤدى دورها ؟

ـ انها لا تغنى فى وقت محدد ، وانما تبكر أحيانا وتتأخر أحيانا أخرى .

ـ حسنا .. سوف انتظرها .

ولم تبق فى الملهى مائدة خالية ، ووقف كبير السقاة عند

المدخل يعتذر لبعض القادمين وهو يشير بيده اشـــارة اذقاعة كلها ، كأنما يريهم أنها مليئة بالرواد .. فلم يفت ذلك المنظر لوبين ، كما لم يغب عن نظرات الســـاقى الكثيب ، فتقدم نحو لوبين قائلا فى استكانة :

ـ هل يريد السيد قائمة حسابه ؟

وشفع ذلك بأن وضعها أمامه ، ولكن لوبين هز رأسه فى تبلد وقال :

ـ كلا .. ليس قبل أن أسمع كوكى .. فكيف يمكننى أن أواجه اصدقائى بأنديانا عندما أعود الى بلدتى واعترف باننى كنت فى نيويورك وذهبت الى قبو كوكى دون أن أسمع غناءها ؟ .. وكيف ..

فقاطعه الســـاقى :

ـ ولكنها ربما تأخـــرت كثيرا ..

ـ أعلم ذلك .. ألم تخبرنى به من قبل ؟

ـ حسنا .. انها تقضى معظم الوقت فى المقصف الذى أنشأته للبحارة حيث تقدم لهم الطعام والشراب ..

ثم أردف بلهجة ذات مغزى وهو يدقق النظر فى لوبين .

ـ مجـانا .. !!

ـ يا له من عمل نبيل ! هل لك أن تذكرنى بأن أغدو بحارا عندما ابعث من جديد !

ـ ماذا ؟

ـ اننى أرى الانوار الكاشفة قد أضيئت ، فهـــل هى كوكى ؟

ـ كلا .. قلت لك انها تحضر متأخرة !

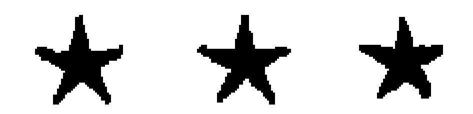
ـ حسنا .. لابد انها فى الطريق الان .. هل لك أن

تنحرف الى اليسار حتى يمكننى أن أرى المسرح ؟
فرفع الساقى وجهه الى السماء كأنما يستلهمها الصبر ، ثم انسحب فى يأس .. على حين أعلن مدير المسرح فى الميكروفون ظهور المغنية الجميلة مس أفالون دكستر ..

وكان لوبين يتوقع أن يرى ويسمع واحدة من تلك (النمر) الثانوية التى تقدمها الملاهى بين أدوار الرقص وبين النجمة الاولى لتملأ الفراغ .. ولكنه ألفى نفسه ينظر ويصغى فى امعان الى تلك الفتاة البارعة الحسن التى تقف وسط دائره الضوء وهى تشدو فى صوت رخيم مؤثر وقد تهدل شعرها الذهبى فوق كتفيها ، على حين تدلت منه خصلة كبيرة فوق عينين واسعتين عسليتين تشعان سحرا وفتنة ..

ومضت الفتاة تغنى انشودة ثانية ثم ثالثة وسط عاصفة من التصفيق والهتاف وصياح الحضور باستعادة ما تغنيه حتى انسحبت أخيرا وخلفت لوبين فى عجب وحيرة من الاثر الذى تركته فى نفسه بجمالها ورخيم شدوها .. فما كان يتوقع أن يجد شيئا كهذا فى (قبو كوكى) الذى حضر اليه ليرى شيئا معينا .. وقد رآه ! .
ولم يفق من ذهوله الا عندما سمع المذيع فى الميكرفون يقـــول :

ـ والان أيها السادة والسيدات ، نقدم لكم السيدة التى كنتم جميعا فى انتظارها فاعتدل فى مجلسه ، اذ أدرك انهْ على وشك أن يرى كوكى .



وكانت كوكى قد نهضت من مائدة مجـــاورة للمسرح فارتقت الدرج المؤدى اليه ولم يملك لوبين نفسه من الابتسام اذ كانت حركتها هذه أشبه ببروز فرس البحر (سيد قشطة) من بركة عميقة .

وعاد لوبين ينظر ثانية الى المائدة التى كان قد رآها من قبل بنظرة عابرة دون أن يعـــرف كوكى نفسها ، اذ حرص الساقى الخبيث على كتمان هذه الحقيقة عنه ، وقد استرعى انظاره الشخصان اللذان كانا يجلسان معها .. وكانا رجـــلا وامرأة ..

كان أبرزهما انوثة ، ذلك الذى يرتدى سراويل الرجل، شخصا يدعى فرديناند بير فيلد ، ذا وجه اشبه بوجه فتاة ، دقيق الملامح غض البشرة تعلوه خصلة من الشعر الذهبى تحتها حاجبان دقيقان اجادالملقط رسمهما فاستدارا فوق عينين زرقاوين ذواتا أهداب كستنائية طـــويلة ، وانف رومانى دقيق ، وفم مستقيم رقيق الشفتين تبدو حمرتهما القانية كأنما صقلتا بالطلاء للتو ..

اجل .. فقد كان مستر بير فيلد ..فنانا . .

اما رفيقته فكانت امرأة ذات شعر خشن كالاســـــــلاك المسدودة ، وعينين يبدو فيهما الظمأ واللهفة ، وشـــفتين برتقاليتى اللون .. عرف لوبين انها تدعى كاى ناتيللو ، وانها تقرض الشعر ..

وحاولت انظار لوبين الى كوكى ثانية ، فهى التى تهمه

أكثر من غيرها اذا كان ثمة اساس لما سـمعه عنها وجعله يدرك بأنها سوف تلعب دورا فى حياته ..

كانت تجلس الى المعزف تمر عليه بأصابعها فى انتظار هدوء عاصفة الهتاف والتصفيق التى استقبلت بها ، وعلى وجهها المكتنز ابتسامة عريضة ..

اجل .. فان كوكى لم تكن تقل عن مائتى وخمسين رطلا فى الوزن ، يبدو وجهها كطبل كبير نقشت عليه عينـان وانف وشفتان ..

ولكن الذى أثار عجب لوبين انما هو مرأى يديها وهى تضعهما أمامها على المعزف فهما لا تشبهان ايدى النسـاء قط ، وانما كانتا عريضتين طويلتى الاصابع أقرب الى أيدى أقوياء الرجال ، بحيث خيل الى لوبين انهما يدى احـد عمال المناجم ، أو المصارعين ، أو يدى قاتل عريق اعتاد الخنق بهما ..

ولقد احس لوبين نحوها نفورا شديدا لعل بعضه يرجع الى تناقض الاثر احدثه فى نفسه مرآها بعـد افالون ديكستر ، ولكنه أيقن أمامه امرأة شريرة لا تقل خطرا عمن قاتلهم من اشرار الرجال .

★ ★ ★

وعلى الرغم من ذاك ظل محتفظا بهدوئه وبسمة البراءة التى تكسو اساريره وهو يرقبها عندما أدنت فمهـا من الميكروفون الموضوع امامها وراحت تقول فى صوت عميق مسيطر :

ـ طاب مساؤكم ايها الاصدقاء .. اننى آسـفة حقا اذ

تأخرت قليلا ، ولدنى كنت اعنى ببعض اولادنا الذين تمــر بهم محنة قاسية .. اعنى أولئك الابطال الذين يعملون فى سفننا وقوافلنا ، ويختارون اشد الاخطار فى الحرب والسلم على السواء .. رجال البحرية التجارية ..

واستطردت كوكى وهى تشير بيدها عبر القاعة :

ـ وانى احب بهذه المناسبة أن تحيوا اثنين من اشـــجع الابطال الذين مخروا عباب البحار الســبعة .. باتريك هوجان ، واكسيل اندرمير ..

وتحول الضوء الكاشف نحو شابين يجلسان الى مائدة جانبية ، فنهضا فى حياء وتكلف ليردا تحية الجمهور على حين ارتد الضوء ثانية الى كوكى وكانت على اســاريرها ابتسامة عريضة كأنما يرجع اليها الفضل فى عودة القافلة سالمة الى الوطن ..

وتابعت حديثها فى الميكروفون قائلة :

ـ وتقديرا لضيفينا العزيزين ، سوف نبدا باغنية الملاح الاعزب الخجول ! ..

★ ★ ★

وقد كان يكفى لوبين ان يسمع المقاطع الثلاثة الاولى منها ليدرك انها من الاغانى المبتذلة التى تنتقى كلماتهـــا فى مهارة بالغة لتحتمل وجهين من المعانى ادناهما الى الفهم يرمى الى تنشيط الرجال واثارة غرائزهم ..

وما من عجب بعد ذلك ان تلقى كوكى كل هذا النجاح ،

وتقابل اغنيتها بالتصفيق والهتاف وصيحات الجمهور يطلب الاستعادة ..

وازداد ارسين لوبين مقتا لها وحقدا عليها ..

وتضاعف هذا المقت عندما تبين مبلغ ما افسدته من روعة غناء افالون دكستر وجميل شدوها ..

وعندئذ سمع الساقى الكثيب يقول بغتة :

ـ لقد احضرت لك كأسا مزدوجة يا سيدى .. فهل يرضيك ذلك ؟ ..

ـ بلا ريب .. فهذا ما كنت انتظره طول المساء ..

وتذوق لوبين ذلك الاثر الذى كان فى قاع الكأس ، فوجد له طعم الويسكى الاسكتلندى ، ومن ثم ابقاه فوق لسانه فى احترام وتبجيل وهو يضن بأن يزدرد ريقه ثم راح يجيل نظراته حواليه وهو يدعو الله ان يرى افالون دكستر فى ركن من القاعة .

وكان من حسن حظه ان رآها !.

ولا ريب انها تسللت الى القاعة من باب خفى .. ففى تلك اللحظة بالذات كانت تنحنى الى الامام لتجلس ، عندما مر بها طرف شعاع الضوء ، فلمح لوبين رأسها ..

ولكنه كان اشد اهتماما بالمائدة التى جلست اليها .. فقد كانت قريبة منه ، كما كانت هى المائدة التى ظل يوليها اهتمامه منذ ان اختار مجلسه بالقرب منها .. فهى مائدة الرجل الذى جاء لوبين الى (قبو كوكى) خصيصا ليراه .

ولذلك كانت دهشته بالغة عندما رأى افالون دكستر تجلس مع الدكتور ارنست زلرمان .

ولم يكن لديه ـ بعد ـ ما يأخذه على الدكتور زلرمان.. فالرجل طبيب نفسانى يحمل اجازات علمية قانونية ، ويتخذ عيادته فى بارك افنيو ، ويكثر من الظهور فى أرقى المجتمعات ، وينتقى عملاءه من ارفع الطبقات قدراً .. كما لم يكن لوبين يأخذ عليه بالمثل انه فارع الطول منتصب القامة ، مهيب الطلعة ، أشتعل رأسه شيبا قبل الاوان ، ذو وجه ناعم البشرة ، وفم رقيق الشفتين ، وانف دقيق ارستقراطى ، وحاجبين كثيفين حالكى السواد ، وعينين عميقتين ثاقبتى النظرات غارتا قليلا بين وجنتيه البارزتين .. كلا .. لم يكن لوبين يأخذ عليه شيئا من ذلك كله بينما كان يرقبه من طرف خفى وهو يجلس وحيدا الى مائدته كما يفعل هو .. وانما كانت لديه اسباب اخرى تدفعه الى بغض الدكتور زلرمان ، والحنق عليه .. منها ما سمعه من صديقه هاملتون عندما خاطبه تليفونيا من واشنجتون ، ومنها ما عرفه من تحرياته الخاصة .. فقد كان سلوك الطبيب النفسانى معيبا ، لا يتفق ومكانته الاجتماعية ، اذ كان زير نساء لا يتورع عن غشيان دور اللهو مثل (قبو كوكى) ، وعندئذ تراه يجالس الفتيات ويداعبهن ويهمس فى أذانهن ويربت بيده الرقيقة على اكتافهن وظهور هن العارية ..

ومن ثم اضطرم حقد لوبين عندما رأى أفالون دكستر تجالس هذا الطبيب المتهتك دون رواد الملهى جميعا .. ونسى كوكى واغنيتها ، ولم يعد يهتم لشىء الا مراقبة الدكتور زلرمان وترقب مسلكه مع الفتاة .. وقد دهش لوبين حقا لشعوره هذا ، فما الذى يعنيه من تحبب الطبيب الى المغنية ؟ .. وما أدراه انها سوف تستجيب لمداعباته

وهمساته ؟ ولكنه كان قد اعجب بالفتاة ، وبمظاهر البراءة التى ترتسم فى اساريرها ، فنهشت الغير فؤاده ..

★ ★ ★

وكان يتقلب على جمر وهــو يراها تدفــع مخالب الطبيب مرة بعد الاخرى عن ذراعيها وكتفيها ، او عندما دفعت رأسها الى الخلف فى نفور واشمئزاز استنكارا لامر لا ريب ان زلرمان كان يهمس به فى اذنها ..

ولم يعد لوبين يتمنى الا ان تتاح له الفرصة ليظهــر استنكاره لمسلك الطبيب الشيخ المتصابى ، ونفــوره من اعماله جميعا ..

وقد اتيحت له تلك الفرصة ..

فبينما كانت كوكى فى ذروة اغنيتها الرقيقة ، رأى لوبين يد افالون دكستر ترتفع ثم تهوى فى صفعة مدوية على وجه الطبيب الوقور .. صفعة لم يسمعها احــد فى الملهى اذ ضاعت وسط الهتاف والتصفيق ، ولم يرها سوى لوبين الذى كان منصرفا بكلتيه الى الطبيب ورفيقته .. كما رأى الفتاة تنهض غاضبة وزلرمان يمسك بها من زراعهــا فى قوة ويعيدها الى مقعدها قسرا ..

وعندئذ تمطى لوبين ، ونهض فى هدوء ، فشق طريقه وسط الموائد ، خطى خفيفة كالفهد .. ولم يبال بانتهــاء كوكى من اغنيتها ، ولا باضاءة الانوار فى القــاعة ، ولم يكترث بالانظار التى سوف تتجه نحوه .. فقد تســلطت عليه فكرة واحدة ، هى التى مضى لتنفيذها ..

وفى حركات وليدة ، اتجه لوبين نحو الدكتور زلرمان ،

وامسك بتلابيبه ، فرفعه من مقعده ، والرجل يحملق النظر اليه دهشة ، بينما كان لوبين يقول :

ـ ما كان ينبغى لك ان تفعل شيئا كهذا ! ..

فراح الدكتور زلرمان يحدق النظر الى آلعينين الزرقاوين اللتين تبدو فيهما لمحة غريبة من السخرية والتهكم واستولى عليه ذعر مباغت ظهر اثره فى الحركة التى جذب بها نفسه من قبضة لوبين وهو يستدير ناحيته .. ولكن لوبين صوب الى وجهه لكمة هائلة اصابته فوق عينيه وشفعها بأخرى استقرت فوق فمه ، وأذا بالدكتور زلرمان يتهاوى فوق مقعده وسط رنين الاوانى وصوت الزجاج المحطم ، عندما انقلبت المائدة ، بينما كان يحاول التشبث بها ..

ووقف لوبين امامه يحدجه بنظرة قاسية ، قائلا :

ـ حسنا .. لعل فى هذا درسا ينفعك !

الفصل الثانى

ران الصمت العميق لحظة فى القاعة ، بما لا يحدث قط فى ملهى كهذا أثناء ساعات العمل ، وما لبثت الضجة ان انبعثت من جديد ، أذ اندفع الحضور واقفين بغتة ، ليحسنوا الرؤية ، وارتفع صوت سقوط المقاعد ، وهرع السقاة والخدم الى المكان الذى نشب فيه آلعراك .

ولكن لوبين لم يعبأ بشىء من ذلك ، كأنه لم يشعر بما أثاره فى القاعة ، والتفت نحو افالون دكستر قائلا :

ـ اننى لشديد الاسف .. وارجو الا يكون ثوبك قد سقط عليه شىء ..

فرمقته بنظرة غير مستقرة ، كانت فيها ومضة من

الدهشة الممزوجة بالرضا ، تخالطها لمحة من الخوف والقلق وما لبثت ان افترت شفتاها فى غبطة وغمغمت :
ـ شكرا لك ..
وفى تلك اللحظة كانت الحملة التاديبية قد وصلت الى المكان الذى يقف فيه الثائر ، ممثلة فى شخص كبير السقاة العريض المنكبين المفتول الذراعين الذى امسك بذراع لوبين قائلا فى خشونة :

ـ ما هذه الضجة كلها ؟
فأجابه فى مرح .
ـ لقد كنت ادرب صديقى هذا على رقصة جديدة .. فهل تحب ان اعلمك اياها ، ام تدع ذراعى ؟
واحس الرجل بعضلات لوبين الفولاذية تختلج تحت يده ، كما رأى نظراته الهادئة تحدجه فى صرامة ، فتردد قليلا .. وعندئذ قالت أفالون :

ـ لا بأس ياجو .. دعه ..
وخلص لوبين ذراعه فى رفق وهو يخرج علبة لفافاته ، ثم راح يتفرس فى الدكتور زلرمان فى تلذذ ومرح ، وهو يجاهد فى التخلص من غطاء المائدة التى التف حوله أثناء سقوطه .. واستطرد لوبين :
ـ ومن سوء الحظ ان صديقى لم يستغرق وقتا طويلا فى التدريب ، فسقط وأصاب وجهه .. وهى حوادث كثيرة الوقوع كما تعلم ..
ونهض الدكتور زلرمان على قدميه بمعاونة احد السقاة، وقد تورمت عينه ، وانساب خيط من الدماء من فمه ، فراح يتحدث فى غير وعى الى لوبين وعنه ، كشخص

اصابه مس من الجنون ، ولم يكف عن هذايانه حتى قدمت كوكى نفسها وشقت لنفسها طريقا وسط حلقة المحتشدين ..
وما كان لوبين يتوقع ان تكون على هذه الدمامة بعد ان غاضت ابتسامتها التقليدية وبدا وجهها صـــارما عبوسا كما تألفت غضبا فى نظرات باردة كأنهما عينا افعى شـــديدة الضراوة وهى تقول لزلرمان :
ـ ما الذى حدث ؟
فانطلق الطبيب صاخبا وهو يضغط على كلماته ضغطا شـــديدا :
ـ لقد اعتدى على هذا الوغد الوقح لغير سبب البتة ..
فقاطعه لوبين قائلا :
ـ أو لسبب يسير ، هو اننى رأيتك تجذب مس دكســتر من ذراعها فى خشونة ..
ـ لانها صفعتنى ..
ـ ولقد احسنت فى ذلك .. فاننى رأيت ما كنت تفعله معهـــا ..
فراحت كوكى تنقل نظراتها من وجه لاخر ، حتى استقرت على الفتاة قائلة :
ـ لقد فهمت .. ما الذى شربته الليلة يا افالون ؟
فتدخل لوبين قائلا :
ـ الواقع يا كوكى ان المرء اذا اراد أن يثمل من المشروبات التى تقدمينها هنا ، لوجب ان يظل يشرب حتى الصباح ..
ـ ومن الذى دعاك الى الحضور ؟
ثم عادت تقول الفتاة :
ـ احب ان اعلم بحق الشيطان كيف جرؤت على اهـــانة زبـــائنى ؟ .

وتدخل لوبين مرة أخرى مـذ رأى الابتسامة الخفيفة تفيض على شفتى الفتاة :

ـ انه هو الذى اهانا اولا يا كوكى ..

فصاح زلرمان : ايها الكاذب القدز !

ولكن لوبين استطرد فى هدوء :

ـ وبذلك دفعها الى صفعه .. فقد رأيت بنفسى ما حدث كله .. ولست أدرى لماذا لا تأمرى بطرده من المكان ، حتى يمكننا الاستمرار فى بقية البرنامج ؟ ..

فحدجته كوكى بنظرة وقالت :

ـ لا تتدخل فى شئون غيرك من فضلك ..

ثم استدارت نحو الفتاة قائلة :

ـ ايتها الحمقاء السكرى ! لقد ضقت ذرعا بسخافاتك واغنيتك الكريهة ..

فلم تنتظر افالون بقية ما تريد المرأة ان تقوله ، وانما توهجت عيناها من فرط الغضب وصاحت :

ـ بل لقد ضقت أنا ذرعا بهذا الوكر اللعين الذى تديرينه ويمكنك ان تذهبى وعملك الى الشيطان ! .

ثم استدارت فى عنف وأسرعت خارجة ، وعندئذ ران على المكان كله صمت عميق كما حدث أول مرة ..

وواجهته كوكى لحظة ، ثم قالت :

ـ من انت بحق الشيطان ؟

ـ اسمى ارسين لوبين ..

قالها فى بساطة ورفق كما ينطق بأى اسم عادى .. ومع ذلك فقد كان لهاتين الكلمتين من الاثر ما يفوق السحر ، اذ

تراجع كبير السقاة العملاق الى الوراء خطوة وهو يغمغم: « يا الهى ! » .. بينما جمدت يد الدكتور زلرمان التى كان يمسح بها الدماء المنسابة من ركن فمه ، وظل على هذا الوضع لا يحير حراكا .. على حين سكنت كوكى فى مكانها وقد شلت حركتها ولم يتغير فيها سوى نظراتها اذ خالطتها لمحة من القلق والاضطراب .

وأردف لوبين قائلا :

ـ وانه ليسرنى ان قابلتكم جميعا الليلة .. ولكنى احب الآن ان ادفع حسابى واخرج الى الهواء الطلق ..

وما كاد يتم عبارته حتى كان الساقى الكئيب يمد اليه يده بقائمة الحساب ..

ولكن كوكى بدأت تقول فى صوت يسيل رقة وتوددا :

ـ مهلا لحظة يا مستر لوبين .. فمثل هذه الاشياء تحدث كثيرا فى النوادى الليلية ، وكلنا يعلم ذلك .. وم قصدت البتة أن اسىء اليك ، ولكنى كنت شديدة الانفعال مما حدث . فهلا جلست وتناولت معى كاسا من الشراب ؟

فأجابها فى هدوء :

ـ كلا ، شكرا .. لقد تناولت الليلة من شرابك ما فيه الكفاية !

ثم اخرج من جيبه ورقة مالية القى بها الى الساقى فى حركة تنم عن انه لا يريد بقيتها بينما كانت كوكى تقول : لا ريب انك كنت تعتقد صواب ما فعلته ، وانك لو علمت يا مستر لوبين أى عناء القاه من تلك الحمقاء الصغيرة ، فانى واثقة ..

ـ بل اننى واثق تماما من ان افالون على حق ، وسوف

يكون لى شأن مع الدكتور زلرمان يوما من الايام ..

ثم استدار على عقبيه ، ومضى يختار القاعة بخطواته الطويلة وقد بدأ عليه الضيق والملل من المكان ، كما كان يود بكل جوارحه ان يلحق بلفتاة فى الطريق قبـــل ان تختفى عن الانظـــار . وكان يعبر الباب عنـــدما التقى بفرديناند بيرفيلد فى طريقه الى المغسل ، فأمسك بيـــده قائلا فى مرح :

ـ الا ترى يا عزيزى فردى ان طـلاء الاظـــافر الذى تستعمله لا يلائم بشرتك ؟ حبذا لو استطعت طلاء بنفسجى اللـــون ..

فتململ مستر بيرفيلد وجذب يده الرقيقه وهو يغمغم : أه ! .. أنت !

فترك لوبين يده واسرع الى الطريق ..

ـ وكانت افالون واقفة على الافريز تتحدث مع حارس المبنى وهو يمسك لها باب السيارة التى كانت تستقلهـــا عندما خرج لوبين من الملهى .. وقبل ان يستطيع الحارس ايصاد الباب كان لوبين يصعد الى السـيارة ويجلس الى جانب الفتاة ورأى الحارس أنها لم تعترض ، فأوصد الباب ومضى وشأنه ..

وراحت الفتاة تنظر اليه فى صمت ..

وكان لوبين يتأملها وعلى شـفتيه ابتسـامة رقيقة .. واخيرا قالت :

ـ طاب صباحك .. اخشى ان اكون قد افسـدت عليـك ســـهرتك ..

ـ بل اننى الملوم .. وقد لحقت بك اذ ظننت انه يحسن بى ان اقدم لك كأسا من الشراب فى مكان آخر لتزيل طعم

ذلك الشراب الكريه من افواهنا ..
ـ شكرا .. ولكنى رأيت الليلة ما يكفى من ملهى ليلى واحـــد ..
فتردد لوبين لحظة ثم قال :
ـ هل تسمحين اذن بأن اصحبك حتى مسكنك ؟
فتفرست فيه بعينيها البريئتين برهة ، قبل ان تقول :
ـ بلا ريب ، هيا بنا .
ثم ذكرت للسائق عنوانها بميدان ستون .. فما كادت السيارة تدرج بهما حتى سألها لوبين فى اهتمام :
ـ او تقطنين هناك ؟ .. لا ريب انك تربحين كثيرا ..
ـ ان المسكن الذى اقطنه ليس مرتفع الاجر .. كما اننى اشتغل بانتظـــام ..
ـ ارجو الا اكون قد تسببت فى تركك لعملك . ؟
ـ آه ! .. لا .. سوف احصل سريعا على عمل آخـــر .. ثم اننى كنت اتوق الى شىء من التغير على كل حال ، وكان ينبغى ان اترك كوكى عاجلا أو اجلا ..
وعادت ترمقه بنظراتها فى دهشة بالغة ، واردفت :
ـ ولكنك لم تخبرنى من انت ! ..
ـ اسمى ارسين لوبين ! ..
فانتفضت الفتاة ، وغمغمت :
ـ آه ! .. كان ينبغى أن أدرك ذلك . فما من أحد يجرؤ على فعل ما فعلت ولكن هل عرفوك ؟
ـ لقد اخبرتهم باسمى ..
ـ شد ما وددت أن أرى وجه كوكى وقتئذ .
ـ كانت اشبه بضفدعة تلقى حوتا ..

فقهقهت الفتاة فى جذل .. ثم راحا يتحدثان حتى بلغت بهما السيارة مسكنها ، فقالت وهو يعينها على الهبوط .
ـ هلا اتيت لحظة ، فاتقــدم لك كاسـا من الشـراب الحقيقى ؟
ـ هذا ما اشعر بحاجتى اليه حقا !
ثم سار بجوارها فى بساطة كأنهما قد تعارفا من عشرات السنين ، لا منذ ســاعات .

★ ★ ★

كانت حجرة الجلوس فسيحة هادئة ذات اثاث وثير ، بها خزانة للكتب وجهاز للراديو ومعزف صغير ، تطل نوافذها على حديقة كبيرة متصلة بالنهر .

وما كان لوبين يلجها حتى أحس بالهــدوء والدعة ، خصوصا وان ضوضاء الطريق لا تصل اليها وكأنهما قد خلفا المدينة وراءهما بمئات الاميال .
ومضت افالون تعد الشراب ، فههب لوبين الى خــزانة الكتب وراح يقلب فى محتوياتها فألفاها تحوى مجموعة من كتب الادب الرفيع لاشهر المؤلفين العالميين امثال برناردشو واميل لودفيج وامثالهما .

فلما عادت قال لها :
ـ يبدو انك تحبين القراءة .
ـ ينبغى ان اغذى عقلى بين آونة واخرى .. وربما كنت من مغنيات النوادى الليلية ، ولكنى درست بمدرسة سميث وتلقت شهادتى من جامعة كاليفورنيا ، ولذا لا حيلة لى فى الأمر اذا شعرت أحيانا بالحاجة الى القراءة والابتعاد بفكرى عن هذه الاوكار .

فابتسم لوبين وقال :
ـ انني ادرك ما تعنينه تماما .

ومضى الى المعزف ، فوضع كأسه فوقه ثم جلس امامه وراح يداعب الاوتار باصابعة فى لين .

وكف عن العزف فجأة ، وتناول كأسه ، ثم مضى الى حيث كانت افالون جالسة فوق الاريكة فجلس بجوارها وسألها :

ـ ما الذى تعرفينه عن زلرمان ؟
ـ لست اعرف عنه الكثير .. فهو طبيب يقطن بارك افنيو ويقال انه نمسوى فر من فينا قبل ان يحتلها النازيون بقليل لاجئا الى امريكا .. ولكنه لم يفقد شيئا من ثروته اثناء فراره .. كما انه يربح كثيرا هنا .. ولم اذهب الى عيادته قط ، ولكن يقال انها اشبه بأحد معارض هوليود ، كما ان سجل عملائه ، ومواعيد زياراتهم اشبه بسجل التشريفات بالبيت الابيض ، لا يحوى الا الاسماء اللامعة الرنانة .. ولديه ممرضة شقراء لاستقبال الزوار ربما كانت مهمتها ان تزيد الاضطرابات النفسية للذكور منهم ، قبل ان يبدأوا العلاج ، حتى يطول أمده ثم ان له مصحة خاصة فى ولاية كونيتكت ، يقال انها من احسن المصحات وافخمها فى الولايات المتحدة ، يلجأ اليها العظماء من المرضى ليتخلصوا من قيود المجتمع والتقاليد فيصنعوا ما يطيب لهم ان يصنعوه ثم يؤدوا بعد ذلك أى ثمن يطلب اليهم أداؤه .

ـ اتعنين انهم اذا طلب تمزيق ثياب احدى المرضات أو سكب الحساء فوق رأس احد الخدم ، فعلوا بغير حرج ، مقابل ثمن معين ؟

ـ انه شىء كهذا فيما يخيل الى .. ويقـول الدكتـور زلرمان ان معظم الاضطرابات العقلية والنفسية تنشـأ من كبت بعض الناس رغباتهم الشخصية ، مضطرين الى هـذا الكبت بحكم التقاليد التى يخضعون لها .. ومن ثم فان الطريقة المثلى لعلاجهم هى ابعادهم عن هذه التقاليد ورفع الحظر عنهم لصنع ما يشتهون .. فاذا ما اطاعوا غرائزهم ووحى نفوسهم ، واشبعوا موطن الضعف من عقـــولهم ، استطاعوا بعد ذلك بدء حياتهم من جديد ، وشـــــفوا من امراضهم .

عابتسم لوبين قائلا : يبدو انه لا يكبت رغباته الشخصية كمـا رأيت الليلة !

فهزت الفتاة كتفيها فى غير اكتراث ، وقالت :

ـ انك تلقى امثال هذه الزواحف فى النوادى الليلية دائما وكان ينبغى ان اجاريه وان اكظم غضبى .. ولكن يا للجحيم لم يكن فى وسعى ان اصبر اكثر مما صبرت .

ـ لا ريب انك قابلته من قبل ؟

ـ طبعا .. فانه يرتاد الملهى دائما .. وقـد قدمته لى كوكى نفسها فهو أحد المقربين اليها .

ـ هكذا فهمت .. ولكن هل تحبه ، أم انه يعالجها ؟.. فى رأيى ان التوغل الى اعماق افكارها ونفسيتها ، قــد يؤدى الى نتيجة مثمرة .

ـ تماما .. ولكنى لن افعل ذلك الا اذا كنت مـزوده بوسائل الدفـاع .

فقهقه لوبين وقـال :

ـ انها اشبه بذئبة ضارية ، أليس كذلك ؟

ـ تماما ‥ ومع ذلك فان الناس يحبونها ‥

ـ ربما كان الامر كذلك ‥ ولكنها اوحت الى بشعور عجيب لا ادرى كنهه ‥ ومنذ ان رآيتها احسست بأنها اول امرأة التقى بها فأشعر بأنها ملأى بالشر والرذيلة ٠

ـ لعلك على حق ‥ فهى امرأة مخيفة ٠

ـ وانى لا تخيلها تحمل السوط فى يدها فى احد مراكز الرقيق الابيض ‥ او تشرف على ملجأ للاطفال لتخنقهم واحدا بعد الآخر وتدفنهم فى الفناء الخلفى ٠

فضحكت أفالون ملء شدقيها ، وقالت :

ـ ربما لم تكن مخطئا ‥ فلم تظهر فى المدينة الا منذ سنتين ، ولا يعرف احد على وجه التحقيق ما كانت تفعله من قبل ‥ لعلها كانت كما تقول قبل ان تجد وسيلة اخرى لكسب المال اسلم عاقبة واكثر امنا ‥

فعبس لوبين قليلا ، وقال :

ـ ومع ذلك فقد اخبرنى الساقى عن ذلك المقصف الخيرى الذى انشأته للبحارة ٠

ـ تعنى « مقصف كوكى » ؟ نعم ‥ انه احد مبتكراتها الاخيرة ٠

ـ هل هو احد فروع ادارة الترفيه التى تشرف عليها الحكومة ؟

ـ كلا ‥ كلا ‥ انها مؤسسة قائمة بذاتها تنفق عليها كوكى من مالها الخاص ، وتقدم فيها القهوة والشطائر والحلوى للبحارة ، كما اعدت بعض الفتيات لخدمتهم والقيام على راحتهم ‥

ـ هل ذهبت الى هناك ؟

ـ لقد غنيت هناك مرتين أو ثلاثا .. وهــو فى الشارع الخمسين بالقرب من الافنيو التاســع .

ـ هل أفهم من ذلك انها لا تربح شيئا من هذا المقصف ؟

انراها تحب الخير لذاته أم أنها وسيلة للاعلان عن نفسها ، أم لها ولع خاص بهؤلاء الفتيان الشجعان الذين يركبون الاخطار ؟

ـ ربما كانت هذه الاسباب جميعا مجتمعة .. أو لعـل ركنا فى ضميرها قد استيقظ اخيرا فأحبت أن تكفر عن بعض سيئاتها .. ومهما يكن من أمر فاننى شديدة الابتهاج لخلاصى منها الليلة .. هلا ملأت كأسينا ؟

فمضى لوبين الى حيث كانت زجاجة الشـراب فـوق الخوان وراح يصب منها فى الكأسين ويمزجهما بالصودا .. وفى أثناء ذلك كان يحس بأن حظه قد أشرق عليـه الليلة نجم ساطع بزغ فجأة .. فقد راح يلقى أسئلة بريئة المظهر وعلم أشياء كثيرة بالغة الأهمية خلال ســاعات معدودات .. وكان المقصف الذى أنشأته كوكى للبحارة هو المحور الذى تدور حوله أفكاره الان وبوده أن يفهم السر فى هذه الاريحية الغربية .. وبدأ له انه قد مضى الى أكثر من الخطوة الأولى فى سبيل اقتفاء الاثر الغامض الذى كان يحاول تتبعه .

وعاد بالشراب الى الاريكة واتخذ مجلسه ثانية وبدأ يخرج لفافة من علبته عندما قالت الفتاة :

شـد ما أعجب مما جاء بك الى وكر كهذا فى هــذه الليلة ! ..

ـ انه الفضول ، والحظ السعيد معا .. فقد كنت مــع

بعض الاصدقاء ولم ترق لى صحبتهم ، فتخلصت منهم وشعرت بالحاجة الى كأس من الشراب .. ووجد نفسى وقتئذ امام الباب ، فدخلت .. وكان من حسن طالعى ان رأيتك !

وكان يكذب عليها .. ولكن هل فى وسعه ان يصدقها القول فى حقيقة السبب الذى جاء الى « قبو كوكى » من أجله ؟ ..

واستطرد :

ـ وعندئذ سمعتك تغنين ..

ـ وهل اعجبك غنائى ؟

ـ لقد كان سحر هاروت !

ـ هل تعلم انبى رأيتك قبل ان ابدأ ، فرحت اغنى من اجلك ؟ ..

فاشعل لفافته وهو يختلس اليها النظر خلال ومضات الثقاب ثم قال :

ـ لم اكن اعلم اننى الفت النظر الى هذا الحد !

ـ أخشى أن تكون كذلك ..

ـ لو علمت حقيقتى لما احببتنى .. فاننى لست من المواطنين المحترمين .. فأنا أسطو على الناس وافتح الخزائن وبعض الناس يمقتوننى الى حد يدفعهم الى أن يرسلوا الى القنابل داخل طرود البريد ، كما ان رجال البوليس يبحثون دائما عن سبب يتعللون به للقبض على .. ان حياتى ليست ناعمة أو مستقرة كما تحسبين ..

ـ وانا بالمثل ليس فى حيــــاتى شىء من الهـــدوء او الاستقرار نحن متفقان في ذلك ٠

فلم يجب لوبين ، وراح ينفث دخان لفافته وهو يحدق النظر اليها وعلى شفتيه ابتسامة شاحبة ٠

وكان عليه ان يقول شيئا ، ولكنه لم يعرف ما ينبغى ان يقـــول ٠٠

وانبعث رنين الجرس فجأة فوفر عليه هذا العناء ٠٠

وأجفلت الفتاة ، ثم اعتذرت اليه ومضت خلال الردهة الطويلة فسمع صوت الباب يفتح ، كما بلغ مسامعه صوت ذر رنين معدنى حاد يقول :

ـ هالوا يا عزيزتى ٠٠ يسرنى اننى لم اوقظك من نومك ٠٠ هل تسمحين لى بالدخول لحظة ؟

وبعد تردد يسير قالت أفالون :

ـ بلا ريب ٠٠ تفضلى ٠ ٠

وسمع لوبين صوت الباب الخارجى يوصد ثم حفيف الثياب ، ثم ذلك الصوت المعدنى يقول :

ـ اخشى ان اكون قد أثقلت عليك ٠٠

ـ لا تكونى بلهاء ٠٠ تعالى ٠٠

وفى اللحظة التالية كانتا فى مدخل الحجرة ، فنهض لوبين فى تراخ بينما كانت أفالون تقول :

ـ مستر ارسين لوبين ٠٠ مس كاى ناتيلو ٠

فحنى لوبين رأسه ، على حين استطردت أفالون :

ـ تعالى يا كاى ٠٠ هيا اجلسى وشاركينا فى كأس من الشـــراب ٠

ولكن كاى ناتيللو ظلت واقفة فى باب الغـــرفة وهى تعبث بأصابعها فى شفتها البرتقالية اللون ، وتتفرس فى لوبين فى اهتمام كبير .. وما لبثت ان قالت :

ـ لقد رأيت مستر لوبين الليلة . عند كوكى .

فأجابها فى تراخ :

ـ نعم .. لقد امضيت هناك بعض الوقت ..

فجلست أفالون ، وراحت تكرر دعوتها للمرأة ان تتناول بعض الشراب ، ولكنها لم تتحرك من مكانها ، وقالت :

ـ شكرا .. ولكنى لن ابقى طويلا .. فلم اكن اعرف انك فى رفقــة احــد ..

فهتفت أفالون ، وقد بدأ عليها الحرج :

ـ دعك من هذا السخف ! .. لمــاذا حضرت اذن الا ان تكونى قد اردت الجلوس معى بعض الوقت ؟

ـ ان لدى رسالة لك ، فاذا سمح مستر لوبين ..

ـ اذا كانت الرسالة من كوكى فان مســـتر لوبين كان حاضرا ما حدث ولن يضيره ان يسمعها .

فترددت المرأة برهة وهى تقلب البصر بين لوبين وأفالون ثم قالت :

ـ حسنا .. انى لم اكن أود الحضور الى هنا لولا ان رأيت اهتمام كوكى بالامر .. فقد كانت ثائرة الاعصاب ، اعياها الثمل بحيث لم تتمالك نفسها تمــاما .. وهـــذا ما يزيدها أسى وحــزنا .. وهى تريــد منك ان تنسى كل ما حدث اعنى انها ترغب فى عودتك الى العمل معها

فقالت أفالون فى صراحتها المعهودة :

ـ اذا كانت آسفة حقا فلماذا لم تحضر بنفسها الى هنا ؟ ..

ـ انك تعرفين كيف تكون كوكى عندما تثمل .. ولكنها آسفه حقا .

ـ حسنا .. يمكنها عندما تفيق ان تتصل بى .. فهى تعرف اين تجدنى .

ـ اننى اقدر شعورك تماما يا عزيزى .. ولكنى جئت اليك لانها رجتنى ان افعل هذا نيابة عنها .. وها انا ذاهبة الآن ..

فنهضت أفالون ، قائلة فى تودد :

حسنا يا عزيزتى .. لقد احتملت الكثير من كوكى من قبل .. ولكنها الليلة قد جاوزت كل حد .

ـ انك تعرفين طبعها .. واننى آسفة !

وتحولت عيناها الجامدتان الى لوبين ثانية وهى تقول:

ـ طابت ليلتك يا مستر لوبين .. يسرنى ان رأيتك ..

ثم تحولت بغتة الى الردهة خارجة .. فلما اوصدت أفالون الباب خلفها وعادت الى الحجرة ، قالت وهى تبتسم :

ـ حسنا .. هل يرضيك هذا ؟

ـ كلا ..

ـ انها عادة كوكى ان تبعث بمن يعتذر نيابة عنها ، اذ يأبى عليها كبرياؤها ان تفعل ذلك بنفسها .. ولكن هذه المرأة لن ..

ـ اخشى ان يكون قد فاتك شىء هام .. فان كاى ناتيللو لم تحضر الى هنا لتحمل اليك اعتذار كوكى .. لقد تركت

الملهى بطريقة رائعة ، ثم انصرفت بدورى على الاثر ولذلك ارسلت كاى خلفك لترى ان كان ثمت صلة بينك وبينى .. ولم تكن توجد أية صلة بيننا فى الواقع ، ولكن ها هى كاى فانيللو قد رأت غير ذلك .

فتطلعت اليه الفتاة دهشة ، وقالت :

ـ وماذا فى ذلك ؟

ـ فيه اننى زججت بك دون قصد لى فى مخاطرة كبيرة .. فازدادت دهشة الفتاة وغمغمت :

ـ هل تعنى ان ذهابك الى الملهى الليلى لم يكن بمحض الصدفة ؟

ـ لعل الامر كذلك !

فسألته الفتاة باهتمام :

ـ هلا اخبرتنى بحق السماء عما يدور حولى ؟ اننى لا افهم شيئا .

ـ ذلك خيرك لك الان .. ومهما يكن فانى لم اكن اود البتة أن يرانى احد من اتباع كوكي عندك .. أما وقد وقع المحظور فينبغى ان تتخذى حذرك .

ـ اتعنى ان ثمة خطرا يتهددنى ؟

ـ لست أحب ان أخيفك .. ولكن هذا هو الواقع .

ـ اننى لا اخاف شيئا .. ولكن الا تخبرنى بجلية الامر ؟

فهز رأسه سلبا وقال :

ـ لا يمكننى ذلك الآن ، فقد أخبرتك بأكثر مما ينبغى .. ولكن كان يجب ان احذرك .. ثم انه كلما قل ما تعرفين كان ذلك اسلم عاقبة لك .. وربما كنت مغاليا فى ظنونى ، ولكن الافضل أن تذكرى اننى دافعت عنك فى الملهى ثم لحقت بك فرأيت من اللياقة ان تدعينى الى تناول كأس من

الشراب وهذه هى كل الصلة التى تربطنا .
فلم تحر الفتاة جوابا ، اذ علقت الدهشة والانفعال لسانها بينما استطرد لوبين :

ـ لقد أوشك الفجر ان يبزغ يا افالون ، فهلا طردتنى من مسكنك الان !

الفصـــل الثالث

استيقظ لوبين على رنين جرس التليفون الموضوع بجوار فراشة ، فتناول المسماع واذا به يسمع قائلا يقول :
ـ هالو .. مستر لوبين ؟
وكان الصوت مألوفا لديه ، ولو ان نبراته كانت تختلف عن آخر مرة سمعها فيها .
ـ أجل .. من المتكلم ؟
ـ انني الدكتور ارنست زلرمان .. ارجو الا اكون قـــد أيقظتك من النوم !
فنظر لوبين الى ساعة يده ، واذا بها قد جاوزت الظهـر بقليل ، فابتسم قائلا :

ـ آه . كلا .. كيف حالك ؟
ـ اننى مدين لك باعتذار يا مســــتر لوبين .. فقـــد شربت كثيرا ليلة الامس ، وعلى الرغم من أن الشراب لا يؤثر فى عادة فاننى لا ادرى لماذا كان أثره شديدا بالامس حتى جعلنى اسلك مسلكا لا يغتفر .. أما لهجتى معـــك ، فانى أفضل ان انسى ما قلته .. وقد استحققت ما حدث لى ، ولو كنت فى مكانك لما فعلت غير الذى فعلت انت .

وكان صوت الطبيب يفيض رقة ويقطر عذوبة واسفا ..
وهو صوت الرجل الذى يعرف ما يقول ويوحى اليك بالثقة ،
ويدعوك الى الافضاء لصاحبه بمتاعبك .

فقال لوبين فى لين :

ـ لقد كنت اعلم انك لن تحنق على .. اذ اننى انما كنت اعمل بوحى تعاليمك .. فقد فعلت ما اوحته اليك غرائزك كما اننى لم افعل الا ما املته على غرائزى بالمثل .

ـ تماما .. انك على حق تماما .. وانى اهنئك على ذلك ويؤسفنى ان يبدأ تعارفنا بهذا الحادث .

ـ لا تفكر فى الامر يا عزيزى الدكتور .. واذا نشطت غرائزك مرة اخرى فانى على استعداد لتجديد التعارف .

ـ ان اسفى يا مستر لوبين اعظم مما يمكننى التعبير عنه وان لدى اعترافا ينبغى ان ادلى به .. فالواقع اننى من أشد المعجبين بك ، وقد قرأت الكثير عنك فكنت دائما اراك نموذجا للتعاليم والمبادىء التى تشير اليها .. للرجل الذى لا يتردد لحظة فى تحدى التقاليد وقيود المجتمع اذا عرف انه على حق .. وقد كان الحادث الذى وقع بيننا بالامس خير دليل على صدق نظريتى ، ولو ان هذا الدليل كان على حسابى .

ـ سوف تجد منى المزيد من الادلة يا عزيزى .

ـ ما دامت لديك هذه الرغبة يا مستر لوبين فانى ارجو ان تتيح لى شرف مقابلتك فى مقابلة خاصة .

فنفث لوبين دخان لفافته نحو السقف قبل ان يقول :

ـ اخشى ان تكون مشاغلى .

ـ بلا ريب .. اننى اعرف كثرة مشاغلك .. ولكننا الان يوم الخميس ، فلماذا لا نلتقى فى عطلة الاسبوع .

ـ ربما غادرت المدينة خلالها .

ـ لنتركها اذن للظروف ، ففى وسعك ان تعـــرف رقم تليفونى من الدليل ، حتى اذا وجدت انك ستبقى فى المدينة تفضلت بالاتصال بى لتتناول الغداء معا ، فما رأيك ؟

ففكر لوبين لحظة ثم قال :

ـ حسنا .. سوف اتصل بك .

ـ وسوف اكون تحت تصرفك .

ـ ولكن كيف عرفت رقم تليفونى ؟

ـ لقد تفضلت مس دكستر فأخبرتنى بعنوانك ، اذ اننى اتصلت بها اولا ، بطبيعة الحال ، لاعتذر اليهـا .. واننى يا مستر لوبين يسرنى ان استمتع بلقائك مـرة اخرى طاب يومك .

ـ سوف تستمتع بذلك حقا .

وأعاد المسماع الى مكانه ، ثم استلقى فى الفراش يفـكر في احداث الليلة الماضية ، وفى كوكى ، والدكتور زلرمان ، وأفالون دكستر .

واذ راحت افكاره الى هذه الاخيرة ، ذكر الفترة السعيدة التي امضاها معها فى منزلها ليلة امس ، قبل ان يعود الى فندقه ..

وعندئذ مد يده الى التليفون ، فطلب من عامل الفنـدق ان يصله برقم ذكره له بعد ان بحث عنه فى الدليل ولم تمض

لحظة حتى سمع افالون تجيبه بصوت لا يزال فيه اثر النعاس قائلة :

ـ هالو ؟ .. هذا انت ؟

ـ نعم .. لقد كنت احلم بك الان ، ولكنى استيقظت ..

ـ لماذا لا تعود للنوم ثانية ؟

ـ ليتنى استطيع .. ولكن احد الزواحف قد ايقظنى .

ـ كزلرمان مثلا ؟

ـ نعم .. هل اتصل بك ؟

ـ بلاشك .. وقد راح يعتذر فى حرارة بالغة ، ودعانى الى تناول الغداء معه .

ـ لقد دعانى بالمثل ..

ـ لنذهب معا اذن .. فلن اقبل دعوته الا على هذا الشرط ..

ـ سوف القاك بعد قليل .. ولكنى ارجوك الا تنسى ما قلته لك بالامس فلا تقبلى دعوة من أحد ، ولا تذهبى الى مكان غريب ، ولا تصدقى شيئا يقال لك .. فانك بعد أن شهدت معى ، واصبحت موضع الشك لصلتك بى ، صرت معرضة لاى شيء قد يحدث لك .. فكونى على حذر .

ـ سوف أكون ..

ـ وسأتصل بك فيما بعد ..

وبعد ان تناول طعام الافطار فى حجرته ، طلب الى عامل التليفون ان يصله برقم معين فى واشنجتون ، وانتظر قليلا حتى تم الاتصال ، فسمع صوتا أجش يقول :

ـ اننى هاملتون .. أرجو ان تكون قد وفقت فى بحثك .

ـ انهــا فكرتك .. وقــد زرت الملهى امس ، ورأيت اصدقاءك ..

ـ وبعــد ؟

ـ التقيت بأجمل فتاة فى العالم ..

ـ انك تفعل ذلك كل اسبوع .. ولكن تليفــون مكتب المخدرات لا شأن له بذلك فاشرح لى حياتك الغراميــة فى خطاب خاص ..

ـ أن اسمها افالون دكستر ، وهو موجود فى ادليــل . وتعمــل مغنية . وقد كانت حتى ساعات قلائل ، تشتغل بملهى كوكى .

ـ الى أى جانب تنتمى

ـ لقد قابلتها فقط ، ولكنهم رأوها معى .. فهل لك ان تذكر ذلك اذا ما حدث شىء لى اولها ؟ . كما قابلت زلرمان بالمثل ، فكان لقاؤنا عنيفاا الى حد ما ! ولكنه شخص متسامح لين الجانب اذ اعتذر لى عن ضربى له ، ودعانى للغداء .

ـ أرجو الا تدعوه بالمثل فتكبدنا نفقات اضافية ..

ـ يمكنك ان تستنزلها من الاتعاب ! .. هذا كل شىء الان وسأطلبك فيما بعــد .

ثم أعاد المسماع الى مكانه .. واثنى يفكر ويمعن فى التفكير اذ كان عليه أن يربط بين ما سمعه وما رآه فى الليلة الماضية ، وان يرسم لنفسه خطة العمل بعد ذلك .

واستقر رأيه على أن أول ما ينبغى الاهتمام به هو ذلك المقصف الخيرى الذى انشأته كوكى للبحارة .

ومضى الى خزانة الثياب ، فتناول حقيبة ووضعها فوق

الفراش ، ثم فتحها وأخرج منها حافظة أوراق جلدية عجيبة لما تحويه فى باطنها من ضروب الخداع ووسائل التنكر ـ فقد كانت بها مجموعة من الوثائق لا ينقصها الا الاسم .. فمن خطابات مطبوعة يمكن أن تكتب عليها رسائل من أية مؤسسة بين شركة البان ذوزى بكانساس سيتى والسفارة اليابانية بأنقرة .. الى مجموعة من بطاقات الزيارة بشتى الاسماء ، وجوازات السفر التى تحمل العلامة المائية لاثنى عشرة دولة ورخص قيادة السيارات والطائرات وبطاقات التموين ، وتذاكر الاعتماد ، وشهادات الميلاد ، وتذاكر تحقيق الشخصية ، وتصاريح المرور ، وتذاكر العضوية بالاندية والنقابات وشتى أنواع التصاريح التى تثبت شخصية حاملها من أحد رعاة الاغنام فى بلغاريا الى أحد تجار العاج فى أواسط افريقيا .. وفوق هذه وتلك مجموعة رائعة من صور ارسين لوبين المختلفة بصورته الطبيعية أو متنكرا بشتى مظاهر التنكر ، متقمصا اية شخصية تخطر بالبال .. ومع هؤلاء جميعا عدد وفير من الاختام والطوابع ليفى بأى غرض يمكن أن ينشده .

وجلس لوبين الى مكتبه فراح يعمل فى تمهل وتؤدة زهاء ساعة كاملة ، انتهى بعدها من اعداد جميع الوثائق الرسمية اللازمة له متنكرا فى صورة ملاح يدعى توم سيمونز ، بالبحرية التجارية البريطانية .. وما لبث أن راح يعركها بين يديه ، ويحك أطرافها بالمبرأة ، وينثر عليها رماد السجاير ، ويبللها بالمياه وبعض قطرات القهوة ، ثم وضعها على الارض وأخذ يطؤها بقدمية عدة مرات ، حتى رثت وتهدلت وبدا عليها القدم وطول الاستعمال .

فلما فــــرغ من هذه المهمة اتم ارتداء ثيابه وغادر الفندق حيث استقل الحافلة الى ميدان واشنجتون ، ومن هناك راح يسير فى تلك الشوارع الضيقة ، حتى وجد الحـانوت الذى يقصده ، وهو أحد متاجر الثياب المستعملة .. فزعم لصاحبه أنه سيمثل دورا معينا فى فرقة تمثيلية للهواة ، ويحتاج الى ثوب كامل مستعمل لاحد البحارة .. وما لبث ان خرج يحمل لفافة بها ما يتمم شخصية توم سيمونز العتيد .

فلما عاد الى الفندق ، وجد رسالتين تليفونيتين .. كانت احداهما من أفالون دكستر ، اذ سألت عنه ، وذكرت انها ستتصل به ثانية فى الساعة السابعة ..

أما الثانية فكانت من كاى ناتيللو .. فقـد سألت عنه ولكنها لم تذكر سببا أو تعد بالاتصال به ثانية .

وابتسم لوبين ، اذ رأى أعداءه يتحركون من كل ناحية مما ينم على أن تدخله قد أقض مضاجعهم .

ثم طلب رقم أفالون دكستر ، ولكنه لم يجدها فى مسكنها

وما عتم ان هبط الى بهو الفندق ، وقضى ساعتين فى الثرثرة مع بعض معارفه حتى بلغت الساعة السابعة والربع عندما اتصلت به افالون ، فقالت :

ـ لقد نسيت يا عزيزى ان أخبرك بأنى كنت اليوم على موعد من مدربى لحفظ بعض الاغانى الجديدة ، ولقـــد غبت عن مسكنى طول هذه المدة .

ـ لا بأس يا حبيبتى .. ولكن هل أراك الان ؟

ـ الواقع يا عزيزى ان مدير أحد ملاهى شيكاغو قد اتى

اليوم نيويورك وهو رجل اعتاد أن يحضر لسماع غنائى عندما كنت أعمل هناك ‥ وقد دعانى الى تناول العشاء معه ، فلم استطع الرفض ، خصوصا واننى ابحث عن عمل جديد ٠

ـ اننى آسف لذلك يا عزيزتى ، فقد كان بودى أن أراك ‥ ولكن هل تعرفين هذا الرجل جيدا ؟

ـ آه ! ‥ نعم ‥ اننى أعرفه منذ زمن طويل ، وهو شخص وديع لا خوف منه ‥ وربما استطاع أن يحصل لى على عمل جديد ‥ ولكن لا تقلق ، فلم انس نصيحتك لى بالحذر ‥ وبهذه المناسبة قد يسرك أن تعلم أن كوكى اتصلت بى اليوم ٠

ـ هل فعلت حقا ؟

ـ نعم ‥ وقد اعتذرت لى اعتذار حارا ، والحفت فى الرجاء بأن اذهب لاراها ٠

ـ وما الذى عولت عليه ؟

ـ لست أدرى بعد ‥ فاننى أمقت هذا الملهى ، وأمقت كوكى نفسها ‥ ولكنها من جهة أخرى تعرف كل انسان فى المدينة وليس من الصواب مناصبتها العداء ‥ الا اننى سأنتظرك حتى أرى ما يحدث ‥ ما الذى ستفعله الليلة ؟

ـ سأقضى الوقت بين الشراب ومطالعة الصحف !

ـ أرجو أن استطيع الخلاص من صديقى هذا فى وقت مبكر ، فانى اريد أن أراك ‥

ـ لماذا لا تتصلين بى عندما تفرغين منه ؟ سوف أكون فى الفندق ، ولكن اذا لم تجدينى فاتركى رقم تليفون المكان الذى تكونين فيه ٠

ـ سوف أفعل يا عزيزى ٠٠ الى اللقاء !

وظل لوبين يجرع الكأس تلو الكأس ، وقد انصرفت أفكاره الى الدكتور زلرمان ، وهو يعجب أشد العجب لماذا يقدم رجل مثله على الاعتذار عن اقحام وجهه فى طريق قبضة سريعة منقضة ؟ ٠٠ ولماذا يريد الدكتور زلرمان أن يوطد معرفته بلوبين ، الذى لم يكتف بصرعه والباسه ثوب الهوان فى الملهى وانما سلبه فتاته ورافقها الى مسكنها ؟ ٠٠ وكيف أدرك الدكتور زلرمان ان افالون دكستر تعرف رقم تليفون ارسين لوبين ؟

ان الاجابة على هذه الاسئلة لا قدع مجالا للشك فى ان الطبيب منغمس الى ذقنه فى تلك المغامرة التى يسعى لوبين الى كشف أسرارها ٠٠ وما دام الامر كذلك فينبغى أن يلقى زلرمان نصيبه من الفحص والتمحيص وكشف الستار عنه ٠

وعندئذ غادر لوبين الفندق ، واستقل سيارة الى عيادة الدكتور زلرمان ليقدم على احدى مغامراته التى يأتيها عفو الخاطر دون تدبير أو ترتيب ، وهو لا يدرى الى أين تقوده ٠

وكانت عيادة الطبيب فى الطابق الثامن عشر ، ولكن لوبين طلب الى عامل المصعد أن يمضى به الى الطابق الثانى عشر بعد ان وقع بدفتر الزوار الليليين باسم جون سميث٠

وما كاد المصعد يهبط ثانية حتى راح يرقى الستة الطوابق العليا فى خفة وسكون الى أن بلغ عيادة الدكتور زلرمان ٠

ولم يستغرق منه فتح قفل الباب الخارجى سوى القليل من العناء ، والوقت وما لبث أن وجد نفسه فى حجرة

انتظار فسيحة أنيقة الاثاث ، طليت جدرانها بلون أخضر فاقع مريح للبصر وللاعصاب وحليت برسوم هادئة توحى للمرء بأنه فى بيته ..

وراح لوبين يفتش الحجرة على ذلك الخيط من الضوء المنبعث من مصباحه الكهربائى فلم يجد فيها ما يستحق الذكر ولم يكن مكتب الممرضة التى تستقبل الزوار يحـــوى سوى بعض الاوراق والاقلام ، وأصبع لطلاء الشفاه ، ونصف علبة من السجائر ، ونسخة من مجلة « قصص الغرام » .. كما كانت فوق المكتب مفكرة للمواعيد كتبت عليها ثلاثة أســـماء .

ومضى الى حجرة العيادة ، فألقاها بســـيطة الأثاث ، جدارنها من الرسوم والنقوش ، ولا تحوى الا مكتب الطبيب واريكة للكشف ، ومنضدة صغيرة .

ولكن اين الملفات وبطاقات المرضى ؟ .. لا ريب انه توجد بعض السجلات الخاصة بالعمل المعتاد للعيادة ، وهى اشياء لا تدعو الضرورة الى اخفائها فان السكرتيرة قد تحتــاج الى بطاقة أحــد المــرضى ، أو تدوين بعض الحســـابات .

وعاد لوبين ثانية وهو يسرى كالشبح الى حجرة الاستقبال حيــث راح يدقق الفحص فى الــركن الــذى تجلس فيه السكرتيرة وما لبث أن استقر ضوء مصباحه الرفيع على مقبض معدنى صغير فى الجدار وفى اللحظة التالية كانت اصابعه تعبث به ، فجذبه نحوه ثم رفعه ، واذا بجانب من الجدار يرتفع الى الاعلى ، كاشفا عن فجوة كبيرة بداخلها درج للملفات ، وخزانة صغيرة وآلة كاتبة .

وفيما كان يمد يده الى درج الملفات ليرى ما بداخله ،

انبعث رنين التيلفون بغتة فى ذلك السكون الشامل فامتدت يد لوبين نحوه دون وعى ولكنه ما لبث ان تمهل قبـــل ان يرفع المسماع ، ليفكر فى الامر .. ولعل الاغلب ان يكون احد الناس قد طلب رقما خاطئا اذ لا يعقل ان يتصل احـد بالطبيب فى هذه الساعة المتأخرة .. ولكن اذا لم يكن ثمة خطأ ، وكان الطبيب مطلوبا عن قصد ، فما من ضرر فى أن يجيب لوبين النداء .. فلن يعرف احد من الذى اجاب

واخيرا قال فى صوت تعمد تغييره : هالو !

وعندئذ سمع صوتا رفيعا خيل اليه انه قد ســمعه من قبل ، يقول فى لهفة :

ـ ارنست .. يسرنى انك عدت مبكرا ، وسوف احضـر اليك توا فقد تطورت الامور تطورا سيئا فيمـــا يختص بالبرت فولى ..

ولم ينتظر المتكلم ردا وانما وضع المسماع فى صوت حاد كان له بعض الاثر فى انعاش ذاكرة لوبين ، فأسرع يحول مصباحه الكهربائى نحو مفكرة المواعيد ليتحقق من صدق حدسه .. وقداصاب اذ كان اسم البرت فولى احد الاسماء الثلاثة المدونة بها ، بين اسمى مسز جــــــرالد ملدون ، وجيمس براثر .

وتردد لوبين بين ان يختفى فى العيادة ويبقى بهـــا متلصصا فى انتظار الدكتور زلرمان ومحدثه ذى الصوت الغامض المألوف وبين ان يبحث عن البرت فولى هذا ليعرف منه ما يمكنه معرفته .. وقد رجحت كفة الفكرة الاخيـرة لاسيما ان العيادة لم يكن بها مكان يصلح للاختبـاء ، ولو ان لوبين قد حزن لحرمانه من معرفة ما يحدث عندما يدرك

المجتمعان ان الدكتور زلرمان لم يكن هو الذى اجاب نداء التليفون ..

واعاد الجزء المتحرك من الجدار الى مكانه ، ثم غادر العيادة وراح يهبط الدرج فى حذر حتى الطابق الثـــانى عشر حيث استقل المصعد الى اسفل العمارة البسـيطة الى الخارج .. وما لبث ان دخل احدى الصيدليات وابتـــاع بعض الادوية البسيطة ثم بحث فى دليـــل التليفون عن عنوان البرت فولى حتى وجده .. ثم استقل سيارة ذكـر لسائقها العنوان المنشود فى بروكلن فلم تمض برهة حتي كانت تسرع به اليه .

وفى خلال الطريق راح لوبين يفكر فى صاحب الصوت الغامض الذى سمعه فى التليفون .. وكان من الواضح ان ذلك المتكلم كان يتحدث فى لهفة وانفعال ، كما كان يبدو فى عجلة من أمره كان شرا مستطير قد وقــع له .. وعلى الرغم مما بذله لوبين من الجهد فى سبيل تذكر صاحب ذلك الصوت ، فانه ما لبث ان كف عن المحاولة اذ لم يسـتطيع الوصول الى نتيجة مثمرة .

واخيرا بلغ المكان الذى يقصده ، فوجده منزلا محترما من العمارات المعدة للسكني ، فراح يبحث عن اســم فولى فى صفحة الاسماء الموضوعة داخل الباب ووجـــده يقطن الطابق الثامن فمضى يرقى الدرج فى صمت وحذر .

واذ بلغ مسكن البرت فولى ، لمح شعاعا من الضــــوء يتسرب من اسفل الباب مما يدل على ان الرجل لم يـــكن نائما .. ولم يكن قد أعد خطته لمـــا سوف يقــوله ، تاركا ذلك لوحى الساعة ، كعادته .. ومن ثم قرع الجرس ووقف

منتظرا .. ولم يسمع اية حركة تنم على ان شخصا ما يهم بفتح الباب لذلك الطارق الليلى .. بل لم يسمع شيئا البتة .. فطرق الباب ثانية .. ولكنه اذ لم يسمع شيئا بعد ذلك حاول فتح الباب فاذا به يستجيب له سريعا ليجد نفسه فى ردهة صغيرة ذلت اثاث متواضع بسيط ..

وهتف لوبين فى صوت رقيق : فولى .. فولى ..

ولكن احدا لم يلب النداء ، فدخل لوبين واغلق الباب خلفه وراح يجيل نظراته حواليه فرأى فى نهاية الردهة بابا يؤدى الى المطهى وآخر لا ريب أنه باب حجرة النوم .

ولم يجد احدا فى المطهى ، فقرع باب حجرة النوم ، ثم فتحهافألفاها تسبح فى ظلام دامس فمضى يبحث عن مفتاح النور حتى وجده .

وما ان سطعت الانوار فى الحجرة حتى وجد بها رجلا .. ولكنه كان جثة هامدة ، وقد انبطح على وجه فوق الارض والدماء الغزيرة التى تدفقت من ظهره تصبغ البساط الاخضر حوله .

وراح لوبين يفحص القتيل ، دون ان يحرك الجثة باكثر مما ينبغى .. فوجده شابا فى مقتبل العمر ، لا يعدو الثلاثين يرتدى ثيابا نظيفة بسيطة تحمل اوراقه الشخصية التى فى جيبه أسم البرت برادفورد فولى عضو اتحاد البحارة .

ولم يكن بجيوب القتيل أى شىء يمكن ان ينم على العلاقة بينه وبين الدكتور ارنست زلرمان .. كذلك لم يجد

لوبين فى المسكن ، بعد ان فتشه بيد خبير مدرب ، أى دليل على وجود تلك الصلة .

فلما فرغ من بحثه ، غادر المسكن بعد أن أعاد كل شىء الى مكانه .. ومضى الى مقصورة التليفون بأحـــد الحوانيت القريبة حيث طلب الاتصال بمركـــز لبوليس ببروكلن .. واخير الشرطى المنوب ، بعد ان ذكر لـــه عنوان المسكن انه « سوف يجد شخصا يدعى البرت فولى ميتا .. وسوف يعرفه من لمدية الحــــادة التى يضعها فى ظهــــره » .

الفصـل الرابـع

وفى منتصف الساعة الحادية عشرة من الصباح التالى، اتصلت به أفالون دكستر تليفونيا قائلة انها لم تســــتطع الانتظار اكثر من ذلك حتى تطمئن عليه ، وســـألته متى يريد ان يقابلها فقال :

ـ فى أقرب فرصة ممكنة يا عزيزتى .. هل قضيت وقتا طيبا ليلة أمس ؟

ـ بالعكس .. قضيت وقتا تعسا .. فقــد عرض ذلك الاحمق عملا فى كليفلاند ولكننى رفضته .. لانك لا تقيم فى تلك المدينـــة !

ـ شكرا يا حبيبتى .. وما قولك الان فى ان نخرج معا لنزور بعض الناس ، ثم نمضى بقية اليوم معا ؟

ـ فكرة رائعة حقا ! .. متى أراك ؟

ـ بعد نصف ساعة ..

وما كان ارتداء ثياب الخروج يستغرق منه كل هذا الوقت ، ولكنه كان فى حاجة الى محادثة تليفونية مع واشنجتون .

وسأله هاملتون عندما اتصل به :

ـ هل من جديد يا بنى ؟ .. اتراك زججت بنفسك فى ورطة جديدة ؟

ـ كلا .. ولكننى اود ان تخبرنى بكل ما يمكن معرفته فى شخص يدعى البرت برادفورد فولى .. لقد كان باستطاعتى ان اتحرى عنه بنفسى لولا انك يمكنك القيام بذلك اسرع منى ، كما ان لدى اعمالا اخرى ؟

ـ أى نوع من الاعمال يا ترى ؟

ـ ساقرأ الصحف واصحب فتاتى الى بعض الزيارات .

ـ اهى الفتاة نفسها ؟

ـ بلا ريب ..

ـ وما الذى عرفته عن القضية ؟ ..

ـ لم اعرف شيئا معينا بعد .. ولكن من يدرى ما ياتى به الغد ؟

فلما فرغ من حديثه تناول احدى الصحف وراح يقرأها فى لطريق بعد مغادرته الفندق ، فوجدها قد نشرت نبأ الجريمة فى سطور قليلة فذكرت ان البرت برادفورد ، سكرتير اتحاد البحارة وجد مقتولا فى مسكنه بروكلن ذلك الصباح بواسطة رجال البوليس ، على اثر بلاغ غامض من شخص مجهول ادلى به الى الشرطى المنوب تليفونيا .. وقد اسرع المفتشان رايت وماكتشون الى مسكنه فوجاد الجثة مسجاة فى حجرة النوم ، وقد غيبت فى ظهرها مدية كبيرة مما يستعمله القصابون .. وذكر كبير المفتشين

فرناك ان من المتوقع القبض على القاتل فى اية لحظة ٠

وفيما كان لوبين فى السيارة لتى أقلته الى مسكن آفالون دكستر راح يفكر فيما يعنيه كبير المفتش بأنه على وشك القبض على القاتل ٠٠ فما من ريب فى ان البوليس لا يعرف عن الجريمة اكثر مما يعرفه هو ٠٠ والا فهل يعلم البوليس بالعلاقة بين القتيل وبين الدكتور زلرمان ؟ ٠٠ واذا كان الامر كذلك فكيف يتوقعون القبض على القاتل ؟ ٠٠ لا ٠٠ ان الامر لا يعدو ان يكون مجرد مغالاة من محرر الجريدة ، ليسبغ على الخبر شيئا من الاهمية ٠

وقابلته آفالون فى ثوب منزلى انيق ، وقادته الى حجرة الاستقبال ثم احضرت له زجاجة من الجعة ، ريثما ترتدى ثياب الخروج ٠٠ فراح يفكر فى مسز جيرالد ملدون التى اعتزم زيارتها ، وهى صاحبة أحد الاسماء الثلاثة المدونة بمفكرة عيادة الدكتور زلرمان ٠٠ وكان اسم زوجها جيرالد ملدون من الاسماء اللامعة وسط رجال الاعمال ولو ان الصفقات التى كان يبرمها فى الاسهم والسندات كانت صفقات مريبة الى حد ما ، لاسيما وقد كان يستخدم اسماء مستعارة فى بعض العمليات ٠

اما مسز ملدون فلم يكن لوبين يعرف عنها شيئا ، ولكن ادرك ان ثمة اسبابا معينة هى التى تدفعها الى استشارة طبيب نفسانى كالدكتور زلرمان ، وهذه الاسباب هى التى يعتزم اكتشافها ٠

وكان من السهل ان يجد عنوانها فى الدليل ٠٠ وكذلك لم تمض ساعة حتى كان يقرع باب جيرالد ملدون ، ثم

يمضى والفتاة الى حجرة استقبال نفيسة الرياش ، حيث وافتهم اليها مسز ملدون ٠

وكانت السيدة على جانب عظيم من الملاحة والفتنة من ذلك الجمال الهادىء الرزين ، طويلة القوام ، فاحمة الشعر ترتدى ثيابا بسيطة انيقة وتسير فى خطوات وئيدة رشيقة ٠

وكانت نبرات صوتها الموسيقى ممزوجة بالدهشة عندما قالت :

ـ هل طلبتم مقابلتى ؟

فقدم لوبين اليها نفسه قائلا :

ـ اننى ارشى وليامز ، المخبر بمجلة (تايم) ٠٠ وهذه زوجتى ٠٠

فغمغمت مسز ميلدون وقد ازدادت دهشتها ٠

ـ يسرنى ان اراكما ٠٠ هل لكما فى شىء من الشراب .

فلما اومأ شاكرين ، امرت مسز ملدون الخادم ان يأتى بمنضدة الشراب المتنقلة ، ثم التفتت آلى لوبين ، متسائلة:

ـ مجلة تايم ؟ ٠٠ وماذا تريد منى ؟ ٠٠ ولكن لا بأس لننتظر حتى تتناولا شيئا ثم نتحدث ٠٠

فلما قدم الخادم كؤوس الشراب الى ثلاثتهم ، قالت مسز ملدون :

ـ حسنا يا سيدى المحرر ماذا وراءك ؟

ـ لقد كلفت بجمع المعلومات اللازمة عن الدكتور زلرمان حيث اننا نتعزم كتابة مقال عن مشاهير الاطباء ٠

فحملقت مسز ملدون فيه وقالت :

ـ يا الهى ! ٠٠ وما شأنى بذلك ؟

ـ أننى أريد ان اطرح عليك بضعة اسئلة ، تساعدنى على

وصف شخصية الطبيب وصفـــا صحيحا فان مهمتى هى معرفة آراء المرضى فى اطبائهم •

ـ ولماذا اخترتنى بالذات ؟

ـ الست من زبائن الدكتور زلرمان ؟

ـ حســنا •• نعم ••

ولحظ لوبين ترددها ، ولكنه لم يعلق على ذلك وقال :

وكيف ترينــه ؟

ـ انه شديد التفاخر والخيلاء ••

ـ هكذا ؟ •• احسب ان شعورا كهذا قد يفســـد الصلة بين الطبيب ومرضاه ؟

ـ انه رجل مغرور •

ـ حقا ؟ •• لقد ظننت ان له شهرة ذائعة ؟

ـ وما هذه الشهرة ؟ •• انها ما يذيعه عنه ذوو الرؤوس الفارغة الذين تؤثر فيهم طلعته المهيبة ولمسات اصابعـــة الرقيقة وكذا ما يقوله أولئك المحدثون الذين يتبـــاهون بقولهم : « لقد دفعت خمسمائة دولار فى زيارة واحدة له »

ـ أراك متحاملة عليه •

ـ كلا •• ولكن ما الذى تريد معرفته عنه ؟ •• عندما كان فى فينا فى الثالثة من عمره ضربه احد القصابين على يديه اذ حاول سرقة بعض (السجق) • وكانت نتيجة ذلك انه يصر على ان ترتدى سكرتيرته ثوبا أزرق اللون •• فهو لا يطيق رؤية ثوب ابيض حواليه •• وهو لا يعرف السبب طبعا ولست لديه اقل فكرة عن ان القصاب الذى ضربه كان يرتدى معطفا أبيض اللون وان كرهه لهذا اللون ناشىء عن عقدة نفسية فى أعماقه هو •

ـ بيدو انه لا يصلح موضوعا لمجلتنا .

ـ آه ! .. امض فى سبيلك ولا تبال .. هل لك فى كاس اخـــرى ؟

ـ هلا اخبرتنى يا مسز ملدون ، كيف تتوقعين الحصول على علاج نفسانى من رجل تتحدثين عنه بهذا الازدراء ..

فاعتدلت مسز ملدون فى جلستها ، وهتفت :

ـ ازدراء ؟ .. لا شىء من ذلك يا سيدى .. فهو رجل بارع فى عمله ، قادر على ان يجعلك تتحدث عن نفســك باشياء ما كنت تحب أن تتحدث عنها .. وربما كان ذلك مفيدا ، فلست ادرى .. نعم .. يجب ان يكون كذلك . فقـــد افادنى فى فهم نفسى ، ولو اننى لم اكن احب ان افهمها .. ولكن جيرالد اسر على ذلك ..

ـ هل افهم من ذلك ان صلتك بالدكتور زلرمان قــد راقت لك ؟

فتطلعت اليه فى ثبات ، وقالت :

ـ راقت لى ؟ .. ما الذى تعنيه بهذا القول تماما ؟ أنت احيانا تقع فريسة عاطفتك اذا اثيرت دفعة واحـــد .. والعاطفة قوة دافعة لا يمكن تجاهلها .. فاذا وقعت فريسة لها ، فان كل ما تفعله وقتئذ يروق لك .. حتى لو ذهبت تلعن نفسك بعد ذلك ، او اذا لم تجد الجرأة للتحدث عنه

ـ اتعنين انه ليس قويم الخلق ؟

ـ وما هو الخلق القويم ؟ .. وكيف يتفق ذلك مع كونك من البشـــر ؟ ..

ان مجرد كونك من البشر يجعلك تخضع لحوافز معينة هكذا قال العالمان فرويد وكرافت ابنج .

ـ وهل يخضع الدكتور زلرمان لحوافز معينة ؟
ـ لا ريب انه يفعل .. حتى ولو قيل عنه انه طبيب ساحر للنفس والعقل . فان ذلك لا يغير اخلاقه قط .. وجميع العوامل والاشياء التى خلقت منه ما هو عليه الان لا يمكن ان تتغير او تتبدل .

فجرع لوبين كأسه ، ووضع القدح الفارغ امامه ، ثم قال :

ـ لقد اضعنا الكثير من وقتك يا مسز ملدون ، فشكرا لهذه المعونة الثمينة .

فنهضت السيدة وهى تبتسم ابتسامة رقيقة وقالت :

ـ لا تظننى متحاملة على الرجل .. فان الذين يعتقدون انه ملاك طاهر اكثر ممن يخالفونهم هذا الرأى .. ثم انه فى بعض الاحيان يكون كذلك حقا .

ولم يسألها لوبين عن هذه الاحيان ، وانما انصرف وأفالون حيث استقلا سيارة ذكر لسائقها عنوان جيمس براثر صاحب الاسم الثالث الذى رآه فى مفكرة زيارات الطبيب ، ثم راح يفكر فيما سمعه من مسز ملدون .

واخيرا غمغم :

ـ لا ريب ان الرجل يمارس ابتزاز المال بالتهديد .. وليس يعنينى رأيها فى زلرمان ، ولكنها ما كانت لتتحدث عنه بهذه المرارة لولا انه يستنزف دمها بطريقة ما ..وعلينا ان نكتشف كيف يفعل ذلك .

ـ لست احسب اننى يمكننى مساعدتك فى هذا الامر .. ولكنى اعتقد ان السيدة قد تورطت فى علاقات آثمة مع الطبيب أو مع غيره ..

ـ لعلك على صواب ،

واستمر يتحدثان فى هذا الامر حتى بلغا منزل براثر ، فوجداه يقطن مسكنا انيقا فى حى راق ٠

وقد استقبلهما الرجل فى غير حفاوة ، وطلب اليهما ان يجلسا ، ولكنه لم يعرض عليهما شرابا ، وانما راح يذرع الحجرة مقطب الحاجبين عابسا ٠ وكان فى نحو الثلاثين من العمر ، ذا عينين زرقاوين واسعتين قد برزت حدقتاهما بما يذكرك بهيئة السرطان البحرى ٠

واخيرا قال فى جفـاء :

ـ ماذا هنـــالك ؟ ٠٠ ٠ ٠٠

فقدم له لوبين نفسه كمندوب لمجلة تايم ، وذكـــر له موضوع البحث الذى يقوم به ، فقال :

ـ اجل ٠٠ اجل ٠٠ ما الذى تريد ان تعرفه عن الدكتور زلرمان ؟ ٠٠ أى نوع هو من الرجال ، أم أى نوع مــن الاطبـــاء ؟

ـ كلاهمـــا ٠٠

ـ آه ! حســنا ٠

وعندئذ دوى جرس التليفون ، فاعتذر براثر لزائريه ، ولبى النداء ، وهو يصغى فى امعان واهتمام ٠٠ ثم القى نظرة على لوبين ، وهو يقول لمحدثه :

ـ نعم ٠٠ لقد فهمت ٠٠ الى اللقـاء ٠٠

ثم تحول الى لوبين قائلا :

ـ هل لك ان تسمح بالخروج من هنا ؟

وكان لوبين فى بادىء الامر يتأمل مســـتر براثر فى ازدراء ، ثم فى تلذذ ، كما يرقب المرء شخصا فى ورطة مضحكة ، ومن ثم لم يبال بقوله ، وقاد افالون الى اريكة

مريحة ، ثم جلس الى جانبها ، واخرج من جيبه قلما مذهبا ومفكرة انيقة ، وقد لاحت فى عينيه تلك النظرة الساخرة وهو يقول :

ـ ما الذى كنت تريد قوله عن الدكتور زلرمان ؟

فراحت اصابع جيمس براثر تعبث بطرف ثوبه فى عصبية شديدة وهو يهتف :

ـ ارجوك .. ينبغى ان تنصرف للتو ، فليس لدى وقت اقضيه معك الان .. تعال غدا .. او فى الاسبوع التالى .. اننى على موعد بالغ الاهمية ، لم يكن منتظرا .. وانى آسف لذلك .. ولكن ..

ثم مضى الى الباب وفتحه على مصراعية ..

ففكر لوبين مليا ، ثم نهض وعاون افالون على القيام بالمثل .. فلما بلغا الباب قال لمسز براثر :

ـ سوف اعود فيما بعد ..

فأومأ الرجل برأسه فى حنق ولبث واقفا حتى سار الزبائن بضع خطوات فصفق الباب فى عنف !

فلما دخلت افالون المصعد ، قال لها فى همس .

ـ انتظرينى فى دهليز العمارة يا عزيزتى ..

ولما هبط بها المصعد مضى لوبين الى احد الاركان فاختبأ به بحيث كان يستطيع ان يرى باب المصعد وباب مسكن براثر معا .. اذ كان على يقين من ان انتظاره لن يطول قبل ان يحدث شىء معين .. اما كنة هذا الشىء فلم يكن فى وسعه ان يحدسه ..

وراح يفكر فى الاثار الزائفة التى اقتفاها قبل ان تقوده غريزته وابحاثه الى « قبو كوكى » .. ترى هل يكون هذا احدها ؟.. وهل يسفر انتظاره عن ان الموعد الذى اثار

انفعـــال براثر ولهفته لا صـلة له البتة بقضيـة تهريب المخدرات هذه ؟

وسمع ازيز المصعد ، وما لبث ان رآه يقف ، ويخرج منه شابان يدل مظهرهما على انهما قد عاد للتو من البحر .. ومع انهما كانا يرتديان ثيابا مدنية ، الا ان البحر كان يبدو واضحا فى بشرتهما التى لوحها هواؤه ، وفى ايديهمـــا الخشنة ، وفى مشيتهما المتأرجحة .

ومضى الشابان قدما الى باب جيمس براثر فقرعـــا الجرس وما لبث الباب ان فتح على الفور حيث دخلا واغلق الباب خلفهما .. وعندئذ خرج لوبين من مكمنـــه وراح ينصت امام الباب ولكنه لم يسمع شيئا ، اذ كان الباب سميكا محكم الغلاق .. فهز رأسه فى اسف ، ومضى نحو المصعد واستقله الى الطابق الاسفل حيث وجد فالون جالسة فى انتظاره بالدهليز ..

ـ فقال لها :

ـ لقد طرأت لى فكرة لا بأس بها .. ولكنى لا اريد ان يرانى احد معك الان قبل ان نستعد .. ولعـــل هـذين البحارين يتأخران بضع دقائق ريثما اخبرك بها ..

وخرجا من باب العمارة فدعا احدى سيارات الاجرة ، واعانها على الصعود اليها ثم قال :

ـ سوف يخرج الان شابان من البحارة لعلك رأيتهما عند حضورهما ، واحدهما فى ثوب رمادى والاخر فى ثوب ازرق الم يلاحظا وجودك ؟

ـ لقد كادت نظراتهما تخترقنى ، ولكنهما لم يكلمانى .

ـ اعذريهما يا عزيزتى ، فقد كانا مشولى الفكر بأمـــور هامة .. ولكنهما سيفرغان منها عند خروجهما ، ويغدوان

على استعداد للقيام بجولة فى المدينة للمــرح واللهو ..
وسوف يذكرانك عند انصرافهما ويسرهما ان تصيبهمـــا
لقضاء بعض الوقت فى انفاق الثروة التى اكتسباها اخيرا
فنظرت اليه افالون فى دهشة وقالت :
ـ لست ادرىعن أى شىء تتحدث ؟
ولكن لوبين لم يكن بالذى يفصح عن اغراضه ، حتى
ولو كان ذلك لفتاة جميلة مثل افالون دكستر..فهو لا يدرى
حتى الان حقيقة موقفها منه .. واذا كانت من افـــراد
العصابة وتؤدى دورا بارعا لخداعه وهى فكرة يحس بأن
كل جارحة فى جسمه تعارضها وتثور فى وجهها ، فانها
قد تعرف ان كان يسير فى اثر صحيح أم خاطىء ..وسوف
تؤدى معرفتها هذه الى تحذير الشابين اللذين فى مسكن
جيمس براثر الان ..
واذلك ابتسم فى دعة ، وقال :
ـ اننى نفسى لســـت ادرى عن أى شىء اتحـــدث
يا صغيرتى .
ولكن اذا صح حدسى فان هذين الفتيين سوف يخرجان
من هنا ولديهما رغبة واحدة ، هى البحث عن اسرع وسيلة
للهو والمرح .
وكان لوبين قد رسم خطته فى لمحة خاطفة ، اذ كان
يريد ان يتحدث الى هذين الشابين دون ان يعرفا انه قد
تعمد ذلك .. فاستطرد قائلا :
ـ هل لك ان تسدى الى صنيعا بسيطا ياعزيزتى ؟
ـ بلا ريب .. اننى أفعل المستحيل من أجلك .
ـ اننى أريد ان تعودى ثانية الى ذلك المنزل وتنتظرى
فى دهليزه ..
فصمتت أفالون لحظة وجيزة ثم قالت :

ـ لقد فهمت غرضك .. ولكن ما هى الصفة التى اقدمك بهــا اليهما ؟
مدير أعمالك ..
ـ أجل .. اذن فأنت تريد أن أجعلهما يريانى عنـد خروجهما ويتعرفان بى وفى اللحظة التى نخرج فيها الى الطريق تظهر انت قادما بهذه السيارة فأقول لهما اننى لا أستطيع الذهاب معهما . ولكنك تسمح لى بذلك على شرط ان ترافقنا ، وعندئذ نستقل السيارة جميعا .. أليس كذلك ؟ .

فقبلها لوبين فى اعجاب ، وأومأ موافقا ، وعندئذ غادرت السيارة الى المنزل . يتبعها بنظراته برهة وقد أدهشـــه ذكاؤها الخارق اذ استطاعت أن تحدس خطته بأدق تفاصيلها دون أن يذكر لها سوى فكرة عامة عنها .

واستقل السيارة بدوره وطلب الى السائق أن يقف بهـا فى طريق جانبى ويتأهب لاول اشارة منه .

ولم تمض دقائق معدودات حتى رأى لوبين أفالون دكستر تبدو من باب المنزل ومعها الفتيان .. وفى اللحظة التالية ، كان يقف بالسيارة أمامهم ، ويفتح بابها قائلا :

ـ معذرة يا عزيزتى .. لقد تأخرت قليلا حتى خشيت الا أجدك .

ـ نعم ، لقد حضرت كثيرا ، وكنت على وشك الانصراف .. حســـنا !

أما وقد حضرت .. على فكرة أقدم لك جوهيمان ، وسام جـفريز .

فصافحهما لوبين قائلا فى مرح .

ـ اسمى سيمبلون .. الى اين تريدون الذهاب ؟

فقالت أفالون فى ارتباك :
ـ اننى لست واثقة من انك مدعو الى هذه النزهــــة يا سيمون .. لقد كنت وهذين السيدين نعتزم القيام جولة فى المدينة ..
ـ ولكنى مدير أعمالك يا عزيزتى ، ولا يمكنك ان تعملى أى شىء دون موافقتى .
فرفعت الفتاة حاجبيها وقالت :
أى شىء ؟ ..
ـ حســـنا !
وارتبك الفتيان بالمثل ، ولكن افـــالون طرقت الارض بقدمها فى حنق وقالت :
ـ انك تعرف ما أعنيه ..
فقال لوبين فى صراحة :
ـ اننى مدير اعمالك يا مس دكستر بحكم القانون ..ومن حقى ان اقدم لك مشورتى فيما يختص بانتقالك هنــا او هناك ، وعليك ان تعملى بهذه المشورة .
فقوست شفتيها فى ازدراء ، وغمغمت :
ـ هل كونك مدير اعمالى يكسبك حق التدخل فى شئونى الشخصية ؟ ..
ـ اخشى ان يكون الامر كذلك رغم ما فيه من هوان
وكان الفتيان يتململان من وقفتهما وينقلان قدما بعـــد الاخر .. فى حين كان لوبين يود ان ينقض على افـــالون ويقبلها اذ كانت تؤدى دورها فى براعة عجيبة وهى ترمقه بنظرات السخط والحنق .
واخيرا قال سام جفريز :

ـ لقد كنا على وشك القيام بجولة بسيطة فى المدينة ..
ففكر لوبين قليلا ثم قال :

ـ انها فكرة طيبة .. لماذا لا نقوم بها جميعا ؟ ..

ونظر كل من الفتيين الى افالون ، فما كانا يرغبان فى ان يصحبهما رقيب او عاذل .. ونظرت اليهما بدورها ، ثم الى لوبين ، ثم هزت كتفيها فى غير اكتراث ..

وعندئذ قال جوهيمان :

ـ ولم لا ؟ ..

وهكذا استقلوا جميعا تلك السيارة .. وفيما كان لوبين يتبعه الى داخلها رفع نظره الى الاعلى ، فرأى وجه جيمس براثر مطلا من احدى النوافذ .

تعمد لوبين ان يكون مجلسه فى احد المقعدين الاماميين الصغيرين ، وظهر الى السائق ، حتى تتاح له فرصة النظر من النافذة الخلفية فيعلم ان كان هناك من يقتفى اثرهم..
ولكنه ما كاد يجلس حتى لاحظ ان سام جفريز قد اخرج مسدسا من جيبه صوبه نحوه ، وراح يحدجه بنظراته فترة طويلة قبل ان يقول :

ـ يا لك من رجل عنيد .. بل لقد سمعنا انك اكثر من ذلك .. ولكن اتحسبنى لم اعرفك ؟ .. لقد نشرت لك الصحف صورا كثيرة .. فأنت ارسين لوبين !

فابتسم لوبين ابتسامة رقيقة ، وقال :

ـ هل الامر كذلك ؟ .. وما دمت تتكلم بهذه الصراحة فلماذا اذا تهددنى بهذا المسدس ؟ ..

فشهقت افالون ، وكانت لم تر المسدس بعد .. بينما قال سام جفريز :

ـ حسنا .. احسب انه ليس ضروريا .. فانني لن اطلق النار عليك الا اذا حاولت خداعنا بأكثر مما فعلت الان ..
ـ ولكنى فى الواقع مدير اعمال هذه السيدة ، فهى مغنية بالنوادى الليـلية ..
ـ اننى لا اعترض على هذا القول بشىء الان .. وسوف نرى ..
وبدا لوبين يتحسس جيبه الداخلى وهو يقول :
ـ هل لى ان ادخن ؟
ـ بلا ريب ..
فأخرج لوبين علبة سجائره ، واشعل لفـافة منها ، ثم اعادها الى جيبه ، وهو ينتهز الفرصة ليتحسس المدية التى يربطها الى ذراعه حتى يستوثق من وجودها .
واستطرد سام جفريز :
ـ حسنا .. انى لم اعرفـك فى بادىء الامر ، ولكنى تبينت حقيقتك بعد ان ركبنا السيارة معك ، فسألت نفسى ماذا يريد لوبين من شخصين مثلنا ؟ .. فلما لم اسـتطع معرفة ما تسعى اليه ، قلت ان خير وسيلة هى ان اتحفز للدفاع عن نفسى فأخرجت مسدسى .
فتنهد لوبين فى ارتياح ، اذ تبين ان سام جفريز قـد فوجىء بظهوره امامه .. ولو ان افـالون كانت ضمن العصابة لحذرتهما منه قبل خروجها معهما .. ولكنا لم ..
ولكن من يدرك ؟ .. ربما حذرتهما افالون منه ، ولكنها ببراعتها رسمت لهما هذه الخطة حتى لا يرتاب لوبين فى أمرها .
وهكذ اكان لوبين فى حيرة من حقيقة أمر الفتـاة .. ويرى اهمية قصوى فى الوصـول الى رأى حاسـم عن

نواياها واغراضها .. خصوصا وانه يرى نفسه يسـير فى الاثر الصحيح نحو الهدف الذى يرمى اليه ، ومادام ذا صلة برجال البحر ..

ففى وسعه ان يتصور تلك البواخر التى ترحــل من نيويورك، لتخترق قناتى بنما او السويس فى طريقها شرقا او غربا ، ووجهتها دائما الى بلاد الشرق الاقصى ..منها ناقلات البضائع الصغيرة ، ومنها بواخر الركاب الكبيرة الذاهبة الى كلكتا او سنغفورة او شنغهاى .. وفى هــذه او تلك يرى احد البحارة يهبط تلك الموانى ، ويذهب الى عنوان معين ، فيقول : « لقد ارسلنى جورج » .. فتكون هذه العبارة السحرية اشبه بعبارة (افتح يا سمسم) ، تفتح له الابواب المغلقة ، وتضع امامه طعاما دسما وشرابا سائغا .. وفى نهاية زيارته يعطى لفافة كبيرة او صغيرة ليعود بها الى نيويورك ويسلمها الى (جورج)

وجورج ، فى قصتنا هذه ، هو جيمس براثر .

ولكن لحساب من يعمل هؤلاء البحار الاغرار حقا ؟..

ان جيمس براثر لا يمكن ان يكون الا وسيطا بينهم وبين .. بين من يا ترى ؟

هذه هى المسألة التى تتطلب الحل الذى ينشده لوبين ، وينشده معــه مســـتر هاملتون مديـــر مكتب المخــدرات فى واشــنجتون .

واخيرا قال لسام جفريز :

ـ هل تريد ان اريك تذكرة عضويتى فى اتحاد الوكلاء؟

ـ لتثبت لى انك وكيل اعمــالها ؟ .. كلا .. لا داعى

لذلك الان .. وربما كنت قد تسرعت قليلا .. فما قولك في ان ننسى ما حصل ؟

ــ اتحب ان نتصافح باليد اليسرى ، ام تفضل ان تعيد هذه الآلة الجهنمية الى جيبك ؟

فضحك سام جفريز ، ووضع المسدس في جيبـــه ، ثم صافح لوبين بيد خشنة صلبة ، جعل يهزها في عنف وقوة فقالت افالون وهي تبتسم :

ــ ولكنكم لم تقولوا للسائق حتى الان اين يذهب بنا ..

ــ انك ضيفة الشرف الليلة يا مس دكستر ، فلمـــاذا لا تذكرين المكان الذي تفضلين الذهاب اليه .

فنظرت الفتاة الى لوبين ، ولكنه كان ينظر الى الخارج .. وعندئذ التفتت الى جوهيمان قائلة :

ــ لنذهب الى حيث يختار جو .

فبدت الحيرة في أسارير الفتى .. وتردد طـــويلا وقـــد اصطبغ وجهه بحمرة الخجل اذ رأى انظارهم جميعـــا تتطلع اليه في انتظار قراره .. واخيرا اشرق وجهه وقال:

ــ لماذا لا نذهب عند كوكي ؟

ولم يكن لوبين يحب الذهاب الى الملهى في صحبـــة الفتيين ولكنــه من ناحيـــة اخرى رأى في ذلك وســـيلة لاستطلاع اخبار معسكر الاعداء .. فقد رآه جيمس براثر يغادر منزله في صحبة افالون والبحارين .. واذا صـــح حدسه فان هذا الامر جدير بان يبلغه براثر للتو الى مركز القيادة .. فاذا ذهبوا جميعا الى الملهى ، في تلك الساعة المبكرة ، فقد يقدم الاعداء على العمـــل في صـراحة ، وعندئذ تنكشف له امورهم على حقيقتها .. ولذلك فقــد غمغم :

ــ انها فكرة طيبة ..

وعندئذ ماتت الكلمات التى اوشكت افالون على النطق بها على شفتيها .. فقد كانت تريد ان تقول ان ذلك الملهى يكون سخيفا مملا فى تلك الساعة المبكرة ، وانها لا تحب الذهاب اليه ، ولكن عندما ابدى لوبين موافقته ، اخلدت الى الصمت وهى تلقى عليه نظرة حائرة ..

واحب لوبين ان يعرف ما يبطن الفتى ، فقال :

ـ ولكن لماذا اخترت كوكى بالذات ؟
فأجاب سام جفريز :

ـ ان زملاءنا لا يفتأون يقولون انه مكان جميل يقضى فيه المرء وقتا طيبا .. فان المرء اذا عاد من الشرق الاقصى يحتاج الى مكان مثل هذا ليستمتع فيه باجازته ..
ـ آه .. وهل سمعت باسم كوكى ، فى الشرق الاقصى ؟
ـ ولكنك لم تذهب اليها قط ؟
ـ كلا ..

ـ ليتنى اذهب الى الشرق مرة ! .. فان له سحرا يشوقنى الى رؤيته .. ترى اين كنتما فى رحلتكما الاخيرة؟

وبينما مضى سام يعدد الجهات التى مرا بها كان لوبين يفكر فى تلك الحقيقة ، وهى انهما لم يذهبا الى « قبو كوكى » ويخيل اليه أن ذلك لا يتفق والفكرة التى كونها فى بادىء الأمر .. وشعر بأن هناك حلقة للاتصال بين بحارة البواخر وبين « قبو كوكى » فهل هو جيمس براثر ؟ أم المرحوم البرت برادفورد فولى ؟ ..

ثم ان فولى كان على صلة بالدكتور زلرمان..وهذا الاخير وثيق العلاقة بقبو كوكى أو بالاحرى بشخص معين هناك

فلا ريب أن هناك حلقة معينة تربط بين هؤلاء جميعا .
ومهما يكن من امر ، فقد ذهبوا الى الملهى..وكان خاويا الا من بعض الرواد المتناثرين هنا وهناك .
ومن هؤلاء كان جيمس براثر ، منمكا فى الحديث مع كاى نانيللو .. فما كاد يلحظ دخولهم حتى ضاقت عيناه، وغادر مائدته ومضى يسير نحوهم فى تمهل .

الفصل الخامس

أحس لوبين بحاسته السادسة المرهفة ، بنظرات جيمس براثر وهى تخترق ظهره ، فالقى نظرة سريعة خلفه ، ورأى الرجل وهو يتقدم نحوهم ، فأدرك للتو أنه يريد أن يتحدث اليه ، بل لقد كان فى وسعه ان يحدس كل كلمة من العبارات التى سيوجهها براثر اليه .. ومن ثم همس فى اذن أفالون قائلا :

ـ خذى زميليك الى أحدى الموائد البعيدة ، وسالحق بكم بعد ان اتبادل كلمتين مع صديقنا هذا .
فسارت الفتاة بين الشابين الى الطرف الاقصى للقاعة على حين وقف لوبين فى انتظار جيمس براثر الذى ابتدره قائلا :

ـ ما الذى جئت تفعله هنا بحق الشيطان ؟
فارتسمت على شفتى لوبين ابتسامته المألوفة الظاهرة البراءة ، كما التمعت فى عينيه لمحة السخرية التى طالما عصفت بأعصاب أعدائه ، بحيث تململ براثر فى وقفته وأخذ يجول بنظراته هنا وهناك وهو لا يستطيع أن يواجه بها لوبين فمرت نظراته البحارين وهما فى صحبة أفالون ، ولكنه لم يبد فى عينيه ما يدل على انه يعرفهما .. واخيرا اجاب لوبين :

ـ لقد بذل كثير من ابناء هذه البلاد دماءهم فى سبيل الحرية والديمقراطية يا صديقى العزيز ، حتى فازوا بها وغدت تعاليمهم دستورا موروثا على كر السنين .. ومنها انه من حق مواطن مثلى ان يدخل أى محل عام يعجبه ، حتى ولو وكان وكرا خبيثا ، فاسد الهواء يقدم اشـــرابة مغشوشة كهذا ! .

فقجاب براثر فى دهشة وحنق :

ـ ان وراء مسلكك هذا شيئا لا افهمه .. ففى بادىء الامر جئت الى مسكنى بتلك الاكذوبة الصارخة عن الصـــحف والابحاث .. ثم تبعته الى هنا بعد ذلك .. فلماذا ؟ اننى اعرف من انت .. فانت ارسين لوبين ! ولكنى رغم ذلك لا استطيع ان افهم لماذا تتبعنى الى هنا ..

ـ اتبعك ؟ انك يا ابنى لست بالذى اتبعه الى مثل هذا الركن من الفردوس المفقود .. ولكن ما دمت قد استطعت الحضور الى هنا بمثل سرعة البرق فيسرنى ان اراك ، وان أصل الى ما انقطع من حديثى معك..لماذا لا تجلس معنا؟ اننى لازلت فى حاجة الى جميع المعلومات التى اريدها .

فنظر براثر الى المائدة التي جلست اليها افالون والفتيين فى امعان ثم أجاب :

ـ شكرا لك .. يسرنى ان اقبل دعوتك .

فلما بلغا المائدة ، كان سام جفريز يقول مسترسلا كأنما يتم حديثا بأده :

ـ .. وكان هناك ذلك الرجل الذى ينبغى مقابلته فى شنغهاى .. وأراد جو ان يشرب حتى الثمل أولا ، ولكننى قلت له اننا يجب ان نرى ذلك الرجل قبل ان ..

ولكنه قطع حديثه ، ورفع انظاره الى اعلى .. وبدت عليه لمحة من المعرفة حين نظر الى براثر فى غير دهشة او تعجب ومع ذلك قال للوبين :

ـ لقد كنت احدث مس دكستر عن رحلتنا الاخيرة ..

وحدث شىء وقتئذ ، ولكن لوبين لم يتبينه تماما .. وقد يكون ذلك الشىء نظرة ذات مغزى ، او وكزة بالذراع أو بالقدم أو ايماءه خفيفة من جيمس براثر .. فقد كف سام جفريز عن الاسترسال بغتة .. ولم يكن ينظر الى براثر او الى غيره من الحاضرين ، ومع ذلك فقد بدت عليه علائم التفكير العميق وخبأ تألق عينيه فغدت نظراتهما باردة جوفاء ..

ونهض الشابان عندما قدم لهما لوبين جيمس براثر ، فصافحاه فى جمود وبغير احتفاء .. وظل سام واقفا ثم قال لرفيقه :

ـ يحسن ان ننصرف الان يا جو ..

ـ كما تشاء ..

فقالت افالون ، وهى تعلم ان الشابين قد عقدا النيه على الانصراف :

ـ لا تذهبا الان .. فانكما لم تمكثا الا لحظة وجيزة .

بينما قال لوبين :

ـ اتمضيان الان والحفلة على وشك الابتداء ؟

فقال سام :

ـ انك تعلم يا لوبين اننا قد عدنا للتو من رحلة طويلة ، وينبغى ان يبحث كل منا عن فتاته .. خصوصا وان الانسة دكستر مشغولة معك ..

وتصافح الجميع ثانية .. ومضى الفتيان فى طريقهما ..

وتقدمت كاى نايتللو نحوهم لتحيى لوبين وافالون، ولكنها لم تمكث طويلا .. فما كادت تنصرف حتى قال لوبين لبراثر :

ـ والان حدثنا عن الدكتور زلرمان .

فلم تطرف عين براثر ، ولم يبد عليه القلق والاضطراب وهو يقول :

ـ وماذا يمكن ان اقوله عنه ؟ انه طبيب نفسانى .. وقد يكون بارعا .. ولكنه على اية حال يتقاضى اجورا عاليه.

ـ حسنا .. دعنا منه الان ، ولننصرف الى ضرب آخر من التسلية ..

فرفعت افالون حاجبيها دهشة ، وقالت :

ـ وكيف تنوى ان تفعل ذلك ؟

فابتسم لوبين فى دعة ، وقال :

باختبار معرفتى باللغات يا عزيزتى ..

ثم مال نحو براثر وحدجه بنظراته قائلا :

ـ فمثلا هل تعرف كلمة « كوجاك » ؟

فلما اخلد الرجل الى الصمت ، استطرد لوبين مفسرا

ـ انه اصطلاح يطلق على زهر نبات معين يزرع غالبا فى آسيا .. فعندما يجف ساق النبات ، وتتساقط اوراقه تفرك الزهرة الهشة بالاصابع وتتحول الى مســـحوق هذا الذى يسمى « كوجاك » .

فقالت افالون :

ـ ما الذى تتكلم عنه ؟

ـ اعتقد ان مستر براثر يمكن ان يفهم ما قلت ..

فاختلجت اهداب براثر وقال :

ـ انى آسف .. فلست افهم ماتعنيه .

ـ آه ! هذا لا يهم .. فلنتحدث اذن عن شيء آخر ..
ولاحظ لوبين فى تلك اللحظة ، ان كاى نايتللو ، وكانت
تقف فى ركن قصى ، قد غادرت القاعة من باب خلفى ..
هل اشار لها براثر اشارة خفيقة لم يرها هو (أى لوبين) ؟
ثم استطرد قائلا :
ـ لا ريب انك تحيا حياة مشوقة يا مستر براثر باتصالك
معظم موانىء العـالم .
فحملق فيه براثر ، وقال :
ـ انك تتكلم بالاحاجى والالغاز يا لوبين .. فلست افهم
الذى تعنيـه .

ولم يكن ثمة مجال للشك فى صدق الدهشة التى ارتسمت
فى هاتين العينين الزرقاوين ، مما دعا لوبين الى التمهل
قليلا فى هجومه .. فقد كان استنتاجه عن العصابة التى
يطاردها ان براثر هو احد الاركان الهامة فيها .. وقد اكد
جفريزا هذا الرأى فى حديثه الذى لم يتمه عندما كان
مع لافالون : « وكان هناك ذلك الرجل الذى ينبغى لنا
مقابلته فى شنغهاى » فان ذلك كان يتفق مع نظرية لوبين
(لقد أرسلنى جورج ...) .. فقد تم الاتصال بين
جفريز والعصابة هنا ، وتزويده بالتعليمات اللازمة ،
ما دفعه على الحساب .. ثم استلام لفـافة كبيرة او
صغيرة فى احد موانىء الشرق ، واحضارها لتسليمها الى
مس براثر فى نيويورك . لقد كانت النظرية سليمة من
الوجوه .. ومع ذلك فان الدهشـة التى تبدت فى
تعبير الرجل تدل على انه لم يفهم تلميح لوبين حقا ..
كان براثر ابرع مما يبدو عليه ؟ وهـل كان يؤدى

(م ٤ ـ الغرفة الصفراء)

دورا معينا لتضليل لوبين وابعاده عن الاثر الصحيح ؟ ام انه لم يفهم غرض لوبين حقا ؟ ولكن اذا كان الامر كذلك فلماذا حضر الى الملهى رأسا عقب الزيارة التى تلقاها من اثنين من البحارة عادا من الشرق توا ؟

لا ريب ان لمستر براثر صلة بهذا الامر .. وعلى لوبين ان يحدد هذه الصلة تماما .. فاستطرد قائلا :

ـ حسنا .. هذا لا يهم ايضا .. فلدينا اشياء اخرى اكثر اهمية لنتحدث عنها . ولكن يجدر بنا ان نملأ كؤوسنا ثانية ..

ثم عاد الساقى وامره باحضار ثلاث كؤوس اخرى من الويسكى الذى كانوا يشربونه ، وبعدئذ اردف يقول لبراثر وهو يبتسم :ـ

ـ اننى لم اكن اصيد فى الظلام حقا ، ولكنى اعتقد ان ملاحظاتى لم تتجنب الصواب فأجاب براثر :

ـ مهما كان ما تقوله فاننى احب حديثك ... فان لك صوتا مشوقا جذابا .. ومع ذلك فلست أرى ما الذى يدعوك الى انفاق وقتك معى ..

ـ هل نسيت اننى لا ازال اجرى تحرياتى عن الدكتور زلرمان ؟

قهقهة براثر وقال :

ـ لقد نسيت حقا .. آه .. ها هو الشراب قد حضر..

وكان الساقى ، هو رجل وحشى الصورة اشبه بحداد القرية ، قادما نحوهم ومعه اقداح الشراب .. ولكن عين لوبين المدربة تبينت التغير الذى وقع للساقى وللشراب معا .. فقد كان الساقى عندما تلقى أمره وهرع لتنفيذه يبدو

خادما دمث الخلق شأن من يرغب فى ارضاء الزبائن ٠٠اما الان فقد حضر وعلى محياه دلائل التحفز للشر ٠٠ كما ان الشراب الذى جلبه لم يكن الويسكى المطلوب ، وانما كان نبيـذا ! ٠٠

فلما بدأ يضع الاقداح على المائدة قال لوبين له :

ـ آسف ٠٠ لقد طلبت ويسكى لا نبيذا ٠٠

فقال الساقى فى قحـة :

ـ ماذا ؟ ٠٠ هل تريد اثارة المتاعب ؟ ٠٠

ـ كلا ٠٠ بل اريد فقط الشراب الذى طلبته ٠٠

ـ بل يخيل الى انك تريد العراك ، فقد طلبت نبيذا ، والان تتكلم عن الويسكى فما الذى تسعى وراءه ؟

ـ لا شىء ٠٠ اننى احاول الحصول على الشراب الذى طلبتـه ٠٠

ـ وماذا أفعل بهذه الكؤوس ؟

ـ اذا كنت قد اخطأت فانى مستعد لتحمل ثمنها ٠٠أما اذا كنت قد تعمدت الخطأ فيمكنك ان تسكبها فوق رأسك

فتطلع اليه الساقى فى قحة بادية ، ورفع الاقـداح ثم مضى بها ٠٠ بينما ظل لوبين محتفظا بهدوئه ، وراح يتحدث عن الصور المنقوشة على الجدران بريشة مسـتر بيرفيلد الذى ينبض بالانوثة !

فلما حضر الساقى ثانية ، كان من الواضح ان فى الامر سرا ، اذ جلب شرابا من نوع جديد غير الذى يريده لوبين فلما نبهه الى ذلك ثار متوعدا وأبى ان يستبدله ، واشـار الى مدير الملهى فحضر على عجل سائلا عما حدث ٠٠ فلما أخبره لوبين بشكواه قال فى ترفع :

ـ اذا كانت الخدمة هنا لا تعجبك فلماذا لا تنصرف ؟.
ـ ولمــاذا ..
ـ لا شيء .. فاننا نحتفظ لانفسنا بالحق المطـلق فى رفض تقديم الشراب لاى شخص وهاك اللافتة التى كتب عليها ذلك .
ثم اشار الى لافتة صغيرة معلقة فوق (البار) ..
ـ اذن فانتم ترفضون تقديم شىء لى ؟
ـ لن نستخدم هذا الحق اذا لم تثر المتاعب .. وهــذا اخر تحذير لك ..
ثم اشار الى الساقى بيده قائلا :
ـ احضر له ما طلب ..
ومع ذلك فقد عاد الساقى للمرة الثالثة بغير الشــراب المطلوب ، فما كاد لوبين يراه حتى قال وهو يبتســـم فى جذل :
ـ لقد صبرت عليــــك كثيرا يا بنى ، وتلقيت قحتك وسلاطتك فى صبر وحلم .. ولكنى احذرك بأنك اذا لم تجلب لنا الشراب المطلوب فى المرة القادمة ، فسوف اجعل والدتك تندم على انها لم تؤدبك قبل ان اتولى عنها ذلك .
ـ اذن فانت تبغى العراك ؟ .. حسنا .. هالو جاك !
فكف عامل البار عن العمل الذى كان بيده .. وكان يبدو انه هو المسمى جاك .. وكان عملاقا يبلغ ستة اقــــدام ونصف طويلا ، عريض المنكبين ، بادى الشراســة ، كأنه مصارع قديم وما لبث ان خرج الى ساق ثان بأن يتبعه ..
ولم يتحرك لوبين من مكانه قيد شــعرة ، كما لم تغب الابتسامة عن شفتيه ، وظل يرقب الكتيبة التى تحكرت نحوه ، كما يرقب ملهاة مسلية ، وهو يزن قوتهم وسـرعة حركاتهم .

وكان يرى الاهتمام فى عينى برائر ، والقلق مرتسما فى اسارير افالون ويديها المنقبضتين فى توفر .. ومع ذلك .. ظل كما هو حتى دنا منه جاك ورفيقه وقال فى هدوء:

ـ هيا اخرج من هنا ..

فلم يتحرك لوبين ، وانما تظاهر بالدهشة ، وقال :

ـ ماذا ؟ ما معنى هذه القحة ، يجب ان يحضر المدير حالا ليفسر هذا المسلك ..

ـ ان المدير ليس فى حاجة الى تفسير شىء .. فسنتولى نحن التفسير اللازم ..

ـ اذن افعل يا بنى .. وعجل ..

ـ وعندئذ قالت افالون :

ـ ما معنى هذا يا جاك ؟

ـ ان المدير لا يريده هنا ، وهذا كل شىء .. وسوف نلقى به خارجا اذا لم ينسحب فى هدوء ..

ثم تحول الى لوبين قائلا :

ـ اسمع .. هل تريد ان نجعل وجهك مستويا كالفطير؟ ام تذهب الى الشيطان بوجه سليم ؟

فاشار لوبين الى المائدة امامه وقال :

ـ ولكنى لم افرغ من احتساء شرابى .. وكذلك صديقتى ؟

ـ يمكنها ان تنتظر .. ولكنك انت الذى ستخرج ..

فابتسم لوبين فى سخرية وقال :

ـ لقد كنت دائما اعجب مما يدفع بعض الحمقى الى طلب المستحيل .. فينبغى ان يعلم كل شخص هنا اننى لن خرج الا مع مس دكستر ..

ـ هل تريد ان تخرج على قدميك ام محمولا على الاعناق ؟

وكان جان يقول ذلك فى هدوء تام كأنما يلقى سؤالا عاديا طبيعيا ..

وعندئذ نهض لوبين فى تراخ وهو يقول :
ـ معذرة يا مستر براثر ، فقد بدأ حديثنا يشوقنى كثيرا .. ولكنى سوف اكون معك بعد لحظة .. فهؤلاء الاولاد قد اقلقهم الانتظار ويجب ان أفرغ منهم اولا ..
ثم تحول الى جاك ، واردف :

ـ ما ينبغى ان تكون ولدا شريرا يا جاك .. هكذا حذرك ابوك من قبل .. فاذهب الان والعب مع رفاقك ولا تحاول قطع الحديث على من هم اكبر منك سنا ..

فأشار جاك الى الساقين ، وتقدموا جميعا دفعة واحدة .. ولكن لوبين اسرع فى حركة خاطفة بالقضاء على الساقى الذى جاء مع جاك ، فصوب الى وجهه لكمة جمع فيها مائة وثمانين رطلا من العضلات الفولاذية ، فطوحت بالرجل الى الجدار حيث جلس ممدود الساقين جاحظ العينين فاغر الفم تحت صورة من رسم مستر بيرفيلد ..

وانتهز جاك هذه الفرصة الخاطفة فانقض على لوبين وطوقه بذراعه فى قوة شديدة شعر بها لوبين حول خصره ككلابة من الحديد .. وفى الوقت نفسه انهتز الساقى الثانى الفرصة ليركل لوبين فى بطنه .. ولكن لوبين انحنى الى الامام وامسك بركبة الرجل وراح يثنيها فى عنف فلم تمض لحظة حتى سمع الحاضرون صوت طقطقة العظام وهى

تنخلع من مكانها ، كما سمعوا الصيحة التى انبعث منه اشبه بعواء ذئب جريح ..

وعندئذ تفرغ لوبين للسيد جاك .. فخلص نفسه من قبضته ثم تحول فلكمه بيسراه فى فكه لكمة جعلته يرفع قامته ، ثم ثنى بيمناه فى بطنه فجعلته ينحنى من فرط الالم .. وتوالت اللكمات على هذا المنوال حتى غدا جاك اشبه برجل مفرط الادب يوالى الانحناء امام سيد له عالى القدر ! ..

وبلكمة قاضية ، انزلق السيد جاك على ظهره بين الموائد مستقرا فى وضع مريح وهو يحدق فى السقف بعينين جامدتين ..

وعندئذ تحول لوبين نحو افالون ، قائلا فى مرح :

ـ هل تحبين ان ننصرف يا عزيزتى ؟

ولقد رأى لوبين فيما حدث فى الملهى من تعمد التحرش به والاعتداء عليه ، دليلا جديدا على ان افراد العصابة رأو فى اهتمامه بامرهم ما يقلقهم .. فانهم بعد ان كشفوا شخصيته ،وتبينوا ان له غرضا معينا فى التدخل فى شئونهم ، لم يستطيعوا الصبر على فضوله ، ومن ثم بدأوا يناصبونه العداء سافرا .. واذا كان لوبين فى حاجة الى تعديل خطته بعد ذلك ، فانما كى يكون حذرا فى المستقبل

وقد فشل فى معرفة المزيد عن موضع مستر براثر الصحيح فى تلك المغامرة ، او العلاقة بين سائر افراد تلك العصابة التى يحاول لوبين الكشف عن خفاياها .. بل انه فشل ايضا فى معرفة حقيقة الدور التى تلعبه افالون دكستر نفسها .. فعلى الرغم من توثق الصلة بينهما ، فانه لم يستطع معرفة شىء عنها او منها .

ومع ذلك فانه عندما اتصل بها فى التليفون فى الصباح التالى ، كان صوته مشبعا بالعاطفة الحارة والحب الملتهب واجابت تحيته قائلة :

ـ طاب صباحك يا عزيزى .. فكيف حالك اليوم ؟

ـ اننى شـديد الانفعـال !

ـ ولمـــاذا يا ترى ؟

ـ لاننى على موعد للغـداء !

فتنهدت الفتاة فى اسى ، وعندئذ ضحك لوبين وقال :

ـ مع فتاة جميلة .. اسمها افالون !

فشهقت افالون من الفرح ، وهتفت :

ـ آه ! .. ولكننى لا انوى الحضور !

ـ محال .. فانك مدعوة معى للغداء مع الدكتور زلرمان

ـ هل اتصلت به ؟

ـ انه هو الذى اتصل بى ثانية فلم استطع التخلص منه هذه المرة .. والواقع اننى عولت على تلبية الدعوة لان الحاحه هذا قد اقلقنى ، واود أن اعرف المزيد عنـــه .. ولا اعتقد انه قادر على تدبير مؤامـــرة فى مطعم (٢١) الفـــاخر ..

ـ وهل الدعوة هناك ؟

ـ نعم وسوف امر بك فى الساعة الثانية عشر تماما ..

وفى الموعد المحدد ، كان يجتازان باب المطعم .. فلما سأل لوبين عن المائدة المعدة لهن قيل له ان الدكتور زلرمان ينتظرهما ..

وكان الطبيب يقف فى انتظارهما وهما يجتازان القاعة الكبرى نحوه ، وقد بدأ بطوله الفارغ وثيابه الانيقة ورأسه المرفوع المجلل الشيب اشبه بفرسان العصور الوسطى ..

وهش لهما قائلا :

ـ يا عزيزى مستر لوبين ويا عزيزتى الانسة دكتستر .. شد ما يسرنى انكما حضرتما فى الميعاد .. هل جلستما ؟

فجلس الثلاثة حول المائدة واستطرد الطبيب :

ـ اننى يا مس دكستر اجد لزاما على ان اعتذر عما فرط منى فى تلك الليلة ..

فأجابته الفتاة :

ـ لا عليك يا دكتور .. لقد نلت جزاءك ..

فتورد وجه الطبيب قليلا وهو يلتفت الى لوبين قائلا :

ـ واعتذارى لك ايضا يا سيدى ..

فغمغم لوبين :

ـ العفو يا دكتور !

واردف زلرمان يقول :

ـ يمكننا ان ننسى هذا الامر بأجمعه ، ونغدو اصدقاء ، حتى نستمتع بالطعام فأننى اتناول طعامى هذا دائما لانه يقدم اصنافا ممتازة و ..

ومضى الحديث على هذا النحو ، بينمـــا كان لوبين يجوب القاعة بنظراته المستطلعة ويرقب الخدم وهم يروحون ويغدون فى خفة وسرعة بثيابهم النظيفة الانيقة ..

وطلب الدكتور زلرمان اقداحـا من النبيذ الفـــاخر قبل الطعام ، فقال لوبين :

ـ انه جميل منك ان تدعونا للغداء .. فقد كان عمى يقول ان الطعام المجانى هو خير الاطعمة والذها ! ..

ـ ولكنى اشـــعر يا مســتر لوبين انك قلما تدعنى الى

الطعام ، لقلة من يجاملونك ٠

فلم يزد لوبين على ان هتف : آه ! ٠٠

وحول عينيه الى افالون وهى تجلس فى هدوء ، وقد اتسعت عيناها في دهشة وتساؤل ٠٠ على حين طرق الطبيب موضوعا جديدا فقال :

ـ لقد تعلمت أشياء كثيرة من عملى كطبيب نفسانى ، منها أن الانسان يعطى فى الحياة أكثر مما يأخذ ٠٠

واسترسل الطبيب فى بسط نظريته والتدليل عليها بأن مستوى المعيشة يتقدم باضطراد وأن الجيل المعاصر يعيش عيشة أفضل مما كان يعيش أجداده ، مما يدل على أن بعض الناس أنفقوا من جهودهم ومن عصارة أفكارهم أكثر مما نالوه لقاء ما أنفقوا ٠٠

وكان لوبين يتساءل فى قرارة نفسه عن الهدف الذى يرمى اليه الطبيب من وراء هذا الحديث ٠٠ فما من ريب أنه لم يدع لوبين وأفالون للغداء كى يبسط لهما نظرياته الفلسفية ولكن لينتظر قليلا ، فسوف يسفر الطبيب عن أغراضه ٠٠ ولا بأس من أن يلمح له بكلمة ليدفعه الى كشف أوراقه ٠٠ فقال :

ـ ولكن هل سمعت عن الشرق ياصديقى ؟

ـ لست أفهم ما تعنيه تماما ٠٠

ـ ان مستوى المعيشة فى الشرق لا يزال فى حالة تبعث على الأسى ٠٠ ولا يزال الملايين من هؤلاء الناس ينفقون جهودا مضنية فى سبيل العيش ٠٠ فما الذى ينالونه لقاءها؟

فلوح الطبيب بيده ، وقال :

ـ ما الذى ينالونه ، الحياة يا عزيزى مستر لوبين ٠٠ الهبة الوحيدة التى يستمتع بها الانسان فى حرية ٠٠ فاذا

لم يحسنوا الاستمتاع بها فهذا شأنهم ..

ـ أتعنى أن ارادة الانســــان فوق كل شىء ، واننى أستطيع أن أكون رئيس الجمهورية ، أو حارسا للكلاب ؟

ـ هذا يرجع اليك وحدك ..

ـ مهلا ياصديقى .. دعنا نبحث حالة شـانج مثلا ..

ـ فأرتفع حاجبا الطبيب ثانية ، وغمغم : شانج ؟

ـ نعم .. فيحكى أن السيد شـانج هـذا راح يدخـن غليونا من الافيون ذات مرة على سبيل التفكة والتسلية .. وكان ذلك بمحض ارادته .. ولكنه أعاد الكرة ثانية وثالثة ولم يكن ذلك بمحض ارادته الآن وانما بارادة بعض الناس الذين يريدون الكسب من ورائه .. وانتهى أمر شانج بأن غدا مدمنا ، وهجر أسرته ، وبيته ، وكل شىء .. فأين الارادة الحرة يا سيدى الطبيب اذن ؟

ـ لقد كانت ارادته هى التى دفعته الى التدخين أول مـرة ..

ـ ليس تماما .. فبعض الناس هم الذين يسروا له ذلك وجلعوا المخدر فى متناول يده .. ودعنا من شانج والملايين من أبناء بلدته ، وتعال بنا الى مستر جورج الذى يقطن فى نيويورك ..

ـ ان مجرى أفكارك يدهشنى كثيرا يا مستر لوبين ..

ـ لا شىء من ذلك يا عزيزى زلرمان .. فالواقـع أن حالة شانج فى الصين هى نفسها حالة جورج أو جاك فى نيويورك . وحتى أمريكا الجميلة لا تعدم أناسا لا يبالوا بالوسيلة التى يجمعون بها مليونا من الدولارات مادامو يجمعونه ولايكترثون للضرر الذى يصيب الغير من جـراء ذلك ، وجورج أو جاك هو الرجل الذى نسعى « نحن . »

وراءه ، ولن تعدم أن نجده فى أوساط الآشقياء واللصوص والنشالين الذين يحبون أن يدخنوا غليونا عقب يوم حافل بجلائل الأعمال ..

فمال الطبيب الى الامام ، وقال فى لهفة :

ــ من هم « نحن » يامستر لوبين ؟ ..

ــ لنفرض أننا نحن الجالسين حول هذه المائدة ، لمجرد فهم المناقشة ..

فقالت أفالون :

ــ أما أنا فلا .. فان لدى من المشاغل الخاصة مالايحتمل المزيد .

واستطرد لوبين :

الحالة تنقسم مهمتك الى شطرين أولهما نقل المخدر الى هنا ، والثانى بيعه .. فاذا أمكنك حل المشكلة ، الأولى ، بقيت الأخرى .. ولكن كلاهما ميسور .. فمن الذى يذهب ويعود من الشرق الآن ؟ البحارة طبعا .. وفى وسعهم احضار البضاعة معهم .. أما العميل فأمرة ، اذ المدينة ملاى بالاوساط الدنيا التى ترحب بغليون من الأفيون ..

ــ بالله هذا ما أريد أن أعرفه بالمثل يا دكتور ..

فقهقه لوبين فى جذل ، وقال :

ــ لست أدرى الى أين يقودنا هذا الحديث يا مستر لوبين ؟ ..

وران الصمت فوقهم لحظة راحوا خلالها يرشفون كؤوسهم ، ثم يطلبون غيرها ، حتى قال الطبيب أخيرا :

ــ أحسب أن من هوياتك يا مستر لوبين ، بحث الجرائم الغامضة التى تذكر الصحف نبأها ... فمثلا مصرع البرت

فولى بحى بروكلين يحيرنى كثيرا لشدة غموضه ..
فجذب لوبين نفسا طويلا من لفافته وراح يفـــكر فى سرعة .. أن الطبيب يدفعه الى الموضوع دفعا ، وهى نتيجة لم يكن يتوقعها لوبين .. ولكن اذا كان الامر كذلك ، فلتكن مشيئته اذن .. فقال :

ـ نعم .. فحتى فى هذه الايام ذات الرزق الوفير ... ينبغى أن يحزن الطبيب عندما يفقد أحد مرضاه ..

ـ أننى لم أكن أفكر فى المال الذى أربحه منه ..

وكف الطبيب عن الاسترسال بغتة ، ثم أردف :

ـ كيف عرفت أنه كان ضمن مرضاى ؟ ..

ـ رأيت اسمه فى مفكرة المواعيد بعيادتك ..

ـ ولكن قل لى يامستر لوبين .. متى جئت الى عيادتى؟
فتظاهر لوبين بالدهشة ، وأجاب :

ـ آه ! .. حسبتك تعلم ذلك .. فقد أقتحمتها مساء الخميس الماضى ..

الفصـــل السادس

وجم الدكتور زلرمان لحظة أن ســـمع هذا الاعتراف ، وراح ينظر الى لوبين فى برود قبل أن يقول :

ـ هل من عادتك أقتحام بيوت الناس ؟

ـ لست أسميه عادة يا صديقى ، فان هذه الكلمة تعنى الحمق والغباء ... والواقع أنه ليست لى عادات معينة قط ، الا اذا كنت تدعو التنفس عادة .. فهو عادة أتعلق بها تعلقا شديدا وليس فى نيتى التخلى عنها .. وقد صادفت الكثيرين ممن أرادوا أن يحملونى على ابطالها ، ولكنهم الآن فى عداد الراحلين الاعزاء ، نزلاء الجحيم .

فهز الطبيب رأسه ، وقال :

ـ ولكنك تعلم أنك أرتكبت جريمة شنيعة ، بالسطو على عيادتى ..

ـ اننى أعترف بأنها تعد جريمة من الوجهة القانونية .. ولكنى حسبتك تفهم ظروفى ، فأننى لم أفعل غير تطبيق نظريتك ، اذ أطعت حافزا خطر لى ..

ـ ولكننى باعتبارى ضحية هذه الجريمة من حقى أن اطلب منك أيضاحا ..

ـ ألم أقل لك اننى كنت أطبق نظريتك ؟ ولكن هل مستر فرديناند بيرفيلد هو الذى رسم تلك اللوحات ؟

فظل الدكتور زلرمان على جموده ، وقال :

ـ دعك من هذه الفلسفة ، فهى شىء آخر ... وحتى يعتنق العالم هذه النظريات فأن القانون هو القول الفصل .. وطبقا للقانون يا عزيزى لوبين ، تكون قد أرتكبت جريمة يعاقب عليها ..

ـ الا ترى أنك تغالى فى تصوير الامر يا أرنست ؟

ـ أننى اريد أن أتاكد من انك تفهم موقفك على حقيقته.

ـ حسنا .. لقد أرتكبت جريمة اذا .. وقد سطوت على عيادتك ، كما سطوت على مسكن المرحوم البرت فولى أيضا ، وقد حيرنى مصرعه كما حيرك يا عزيزى أرنست .. فماذا تريد ؟

وعندئذ حول الطبيب رأسه ونظر الى ناحية معينة من القاعة ثم أشار بأصبعه ..

وتبع لوبين اشارته هذه فرأى رجلين يجلسان الى مائدة بعيدة ، يهمان بالنهوض ، وقد راح احدهما يدفع شيئا صغيرا اسود اللون تحت المائدة .. وما لبثا ان راحا يشقان

طريقهما بين الموائد متجهين نحوهم ، ولم يكن فى مظهرهما ومشيتهما أى ريب فى أنهما من رجال البوليس السرى ..
فلما بلغا المائدة ، قال لهما زلرمان :
ـ هل سمعتما كل شىء ؟
فأومأ أقصر الرجليين برأسه ..
وانحنى لوبين ونظر تحت المائدة فوجد ميكروفونا صغيرا مثبتا بأسفلها ، يمتد منه سلك رفيع ملتصق بأحد قوائم المائدة حتى يختفى تحت البساط ، فلما رفع رأسه بعد ذلك ، كانت تبدو فى وجهه علائم الاعجاب ، وقال :
ـ هذه يا عزيزى الدكتور مسألة ظريفة ... فقد كنت أحسب أننا نتحدث حديثا خاصا ولم يخطر لى أن للبوليس دخـــلا فيه ..
فلم يعبأ به الدكتور زلرمان ، وقال للشرطيين :
ـ هذا الرجل هو أرسين لوبين ، المجرم المعروف الذى تطلبه حكومات دول كثيرة فى العالم بتهم عديدة من السطو والسلب والابتزاز وغير ذلك ..
ـ انها مجرد شبهات ياعزيزى ، وليست تهما ثابته ..
فتحول أحد الشرطيين الى لوبين ، ووضع يده على ذراعه قائلا :
ـ يحسن أن تأتى معنا ...
فقال لوبين فى هدوء ، بلهجة آمرة : مهلا لحظة ..
ثم نظر الى زلرمان ، وقال :
ـ لقد استقيت معلوماتك من مصدر ما ، ولم تستنتجها من تلقاء نفسك ، حتى تنصب لى هذا الشرك .. فهل أفالون هى التى أرشدتك ؟

فصاحت الفتاة : .

ـ أواه يالوبين ؟ كلا ياعزيزى .. كلا ...

وكان صوتها متهدجا ، تبدو فيه اللهفة والاستنكار .. ولم يعرف لوبين أن كان ذلك حقيقة أم تمثيلا ! ولم يحاول النظر اليها ، اذ كان يحدج الطبيب بأنظار متفرسة ..

فقال هـذا :

ـ يكفى أن يفهم المرء عقلية معينة ، حتى يدرك أفعال صاحبها جميعا ... فقد زرت مسز جيرالد ملدون وجيمس براثر ... وكان هذان صاحبى أثنين من الاسماء الثلاثة المدونة ... بمفكرة المواعيد .. فيتبع ذلك أنك زرت البرت فولى أيضا .. وكان من الواضح أنك انت الذى أبلغت النبأ الى البوليس تليفونيا ، اذ كانت كلماتك مما يتفق وأسلوبك تماما .. ولقد علمت أن شخصا ما كان موجودا فى عيادتى فى الوقت الذى لا يجب أن يكون بها أحد قط ، فارتبت فى أنك ذلك الشخص الذى لبى نداء التليفون .. ولكن كان ينقصنى أن أسمع أعترافك بما يؤيد استنتاجاتى هذه..

فارتسمت على فم لوبين ابتسامة عريضة ، وقال فى جـــذل :

ـ لقد فهمت .. وأننى يا عزيزى أرنست قد أزددت اعجابا ببراعتك ، وتضاعف تقديرى لمواهبك .. وسوف أنهج فى الحياة نهجا آخر فى المستقبل .

ـ هذا اذا اتسعت لك يالوبين .. فقد كان فولى قتيلا عندما تركت مسكنه ، والبوليس دائب البحث عن قاتله ... ولا ريب أنك تعلم ان القتلة فى هذه البلاد ينتهون فوق كرسى مريح ..

ـ ليس فى هذه المرة أيها الساحر الكهل ..
ثم التفت الى الشرطيين ، وقال :
ـ هل نبدأ رحلتنا الى سنغ سنغ ؟
ـ تعبس أطولهما تامة ، وقال فى خشونة :
ـ هيا ... هيا ....

فلما استوى لوبين على قدميه ، نهضت أفالون واقفة بجواره ، فراح يتفرس فى عينيها بنظرات عميقة ساخرة دون أن تطرف الفتاة أو تتزعزع ... وأخيرا غمغمت .

ـ أننى لم أفعل يالوبين .. لم أفعل ..
فقبلها لوبين قبلة خفيفة ، وقال :
ـ كونى بنتا طيبة .. ولا تنسى أن تأكلى نصيبى ...
ـ ولكنك لن تذهب هكذا كالحمل .. الا تحاول أن تفعل شيئا للدفاع عن نفسك ؟

فاتسعت ابتسامة لوبين ، وقال :
ـ هذه مشيئة الله يابنيتى ! .. شكرا على الشراب يادكتور !

ومضى مرفوع الرأس منتصب القامة بين الشرطيين ، دون أن يثير مرورهم بين الموائد الا القليل من انتباه الحاضرين .. ولم يفته أن يفكر فى وسيلة بارعة للفرار من الشرطيين عندما يخرجون الى الطريق .. ولكنه من جهة أخرى لم يرى جدوى فى أن يغدو هاربا من وجه العدالة تطاردة قوات البوليس وتعوقه عن اتمام مهمته .. ومن يدرى ؟ فلعل لوبين كان يخفى وراءه سيلا متدفقا من الافكار والخواطر ولكن قناع الهدوء وقلة الاكتراث الذى كان يكسو وجه الدكتور زلرمان قد أمعن فى تطبيق

وعاد الشرطى الطويل عربة ، والقى أوامره على سائقها نظرياته النفسية واستنتاجه فحدس مقدما أن لوبين سوف يحاول الفرار ، فأعد لذلك مشهدا مسرحيا جديدا ؟ .. أو لعله الآن يجلس فى المطعم هادئا وقد أصاخ بسمعه مترقبا دوى طلقات الرصاص التى تريحه من تدخل لوبين الى الأبــد ..

وكذلك لفظ لوبين فكرة محاولة الفرار .. وقنع بالانتظار والامل فى أن تكون (الزنزانة) التى سيودعونه بها فى السجن ذات نافذة على الفناء ! ..

ودعا الشرطى الطويل عربة ، والقى أوامره على سائقها بصوت خافت ، ثم جلس فيها لوبين بين الرجلين فدرجت بهما .. وبعد برهة قال لوبين للشرطى الذى الى يساره :

ــ ما قولك فى كأس من (الجن) ؟

ولكنه صاح به :

ــ اصمت ! ..

ومضت دقائق ، واذا بالشرطى الطويل ينظر الى ساعته فقال لوبين :

ــ على فكرة .. ما هى الساعات المحددة للزيارة فى ســـجنكم ؟

فصاح به كزميله :

ــ اصمت ! ..

وطال سير العربة .. واجتازت سنترال بارك ثم عرجت على البحيرة ، وأخيرا مضت تسير بجوار حديقة الحيوانات فنظر لوبين نظرة ذات مغزى الى الاقفاص ، ثم قال :

ــ ما هو الموعد المحدد لعودتكما ؟

وعندئذ صاح به الرجـــلان معا :

ــ اخرس ! ..

فأشعل لفافة ، وراح ينفث دخانها فى تفكير عميق ، وهو يعجب الى أين يمضى الشرطيان به ! وزاد من قلقه أن كان أطولهما لا يفتأ يتطلع الى ساعته بين لحظة وأخرى .. وخشى أن يكون فى نية الرجلين أن يأخذاه الى أحد السجون البعيدة المنعزلة حيث لا يستطيع الاتصال بأحد ..

ونظر الشرطى مرة أخيرة الى ساعته ، ثم صـــاح بالحـــوذى :

ـ كفى ! ..

فأومأ الحوذى برأسه ، وعاد بالعربة خببا ولوبين يزداد عجبه بين لحظة وأخرى ، حتى بلغ ذروته عندما وقفت العربة أمام فندقه ! ..

وعندئذ خرج الشرطيان عن عبوسهما وقال القصير :

ـ حسنا .. هيا أصعد الى حجرتك ..

فقال لوبين ذلهلا :

ـ وبعد ؟ .. ثم ماذا ؟

ـ ســـوف ترى !

فأومأ برأسه فى جذل ، ثم أسرع الى حجرته ، فالفى جـــرس التليفون يرن رنينا متواصلا ..

واذا صديقه هاملتون يقول له :

ـ يحسن بك أن تكون أكثر حذرا .. والا فهل تظن أننى لا عمل لى أو لرجالى الا انقاذك من المآزق التى تزج بنفسك فيهـــا ؟

خيم الصمت فترة طويلة ، عقب انصراف لوبين مقبوضا عليه ، على افالون دكستر والدكتور زلرمـــان .. فكانت الأولى مستغرقة فى التفكير جامدة الاسارير لا يبين محياها

الساكن عما يعتمل فى نفسها من اضطراب .. على حين كان الطبيب يداعب باصابعه الدقيقة كأس الشراب وينقر على علبة سجائره الذهبية وهو يجيل فى القاعة نظرات متراخية على غير هدى ودون قصد معين .. وأخيرا قال :

ـ أننى أسف ..

وشفع ذلك بابتسامة ملؤها العطف والشفقة ، فهـــزت الفتاة كتفيها قائلة :

ـ ولماذا تأسف ؟

ـ أننى لم أكن أود يامس دكستر أن اسبب لك حزنـــا أو أحطم فؤادك ..

ـ ولكن لا أعنى بغير نفسى يا دكتور ..

ـ هذه ياعزيزى أعظم ميزة فيك ... فان المرء لايتوقع من فتاة مفرطة الجمال مثلك أن تكون متعلقة بالحب وهذه الاوهام الاخرى .. اذا كان لى أقول ذلك .

ـ لك ذلك يا دكتور .. ومهما يكن من أمر ما تقول فانه يفتح لى باب الخروج .. وداعا .. فرفع يده الناصعة البياض ، وقال .

ـ لا تذهبى .. فانك لم تتناولى طعامك بعد ! ..

ـ لست جائعة ..

ـ اذن أصغى الى قليلا .. فلدى معلومات قد يكون من صالحك أن تعرفيها ..

واستطرد الطبيب :

ـ أنها بشأن مستر لوبين ... وعلى الرغـم من أنــه يسرنى أن أصارحك بأننى أهتم أهتماما شخصيا بسـعادتك ورفاهيتك ، فان ما أود قوله لك لا يعدو نصيحة فنية أبديها لك بحكم مهنتى كطبيب نفسانى ..

فابتسمت أفالون فى تكلف بينما استطرد الطبيب :
مامن أحد لا يعترف بأنه شخص يبدو من أبطال الاساطير والاحلام ، وله جاذبية مغناطيسية تجذب اليه النســاء الخياليات ، حيث يتمثل لهن فيه ما ينشدنه من ســحر وشهرة ومال ومغامرات ولكن ما أريد أن أقوله يا مس دكستر ، هو أن مثل هذا الشخص دائم التقلب ، كثير الاهواء والنزوات ...

فاتسعت ابتسامة أفالون ، بينما تابع الطبيب حديثه :
ـ كما أن مسلكه فى الحياة دائب التعثر فى المغامرات والجرائم والاخطار . وقد علمت ان كل من ارتبط معــه برباط وثيق ، ذكرا أم أنثى ، قد لقى حتفه بطريقة ما ... واذا كان قد نجا من الموت حتى الان ، فلا مناص من أن يأتى يوم يا عزيزتى مس دكستر تتخلى عنه الهة الحظ ، فيرد الهلاك ...
فنهضت أفالون بغتة وهى تقول فى حنق :

ـ وهكذا الى اخره .. الا دعنا من هذه الفلسفة يادكتور فقد رأيته بنفسك يتهمنى بأننى وشيت به اليك وأطلعتك على حركاته وأفعاله .. ومن ثم فلست أرى خطرا يتهددنى من أعدائه كما تلمح لى .. ودعا .
ومضت فى خطى حثيثة الى جاراج المطعم ، والغضب يعصف بنفسها ، فاستقلت سيارة الى مركز الشرطة لتسأل عن لوبين ...
وفيما كانت ترقى فى الدرج العريض بادارة البوليس ، اذا بكأى ناتيلاو وفرديناند بيرفيلد يلحقان بها فيقول الاخير بصوته الشبيه برنين الاجراس :

ـ أهلا بك ياعزيزتى ..
بينما لم تقل المرأة شيئا ..
وعاد بيرفيلد يقول :
ـ لقد كنا نسير فى الطريق فلمحناك تصعدين الدرج ، ولما كنا نريد أن نراك ، ودائبى البحث عنك ، فقد وجدنا الفرصــة ســانحة ...
فقاطعته أفالون :
ـ تبحثان عنى ؟
وكانت كاى ناتيللو هى التى أجابت بصوتها الشـــبيه بحشرجة المنشـــار :
ـ نعم ياأفلون .. هيا هيا يا أبنتى !
فقال فرديناند بيرفيلد :
ـ أن لدينا خبرا لك يا عزيزتى ، هو أن (ماجنا مونت) سيقوم الليلة بتصوير مشهد فى (مقصف كوكى) وسوف نكون جميعا هناك ، كما أنك ستلقين بعض أغانيك .. فهيا بنا لان كوكى تريد أن تستوثق من أنك ستشتركين فى البرنامج قبل التعاقد مع مستر بفيفر ؟
ـ ومن مستر بفيفر ؟
ـ بفيفر المخرج الكبير يا عزيزتى ... سوف يخرج لكما فيلما رائعا ..
فترددت أفالون برهة وهي لا تستقر على رأى معين ، أو تجد ما تقوله .. ولكنها قالت أخيرا :
ـ حسنا .. سوف الحق بكما بعد قليل . هل أجدكما عند كوكى ؟ ..
ـ ولكنك ستذهبين معنا ... ولا شك أنه ليس لديك

ما يهمك فى مثل هذا المكان أو نزلائه من المجرمين .. ماذا جئت تفعلين ؟

ـ لقد فقدت مشبكا ذهبيا وقرطا فى احدى سـيارات الاجرة ، فظننت انه يمكننى السؤال عنهما هنا .. ولو انه يخيل الى اننى لن اجدهما ..

ـ ربما ... وعلى أية حال فانى قادم معك لمعاونتك فى التحدث الى هؤلاء المتوحشين ذوى الثياب الزرقـاء .. وبعدئذ نذهب سويا !

الفصـل السـابع

وعندما فتح مستر جيمس براثر باب مسكنه للسـيدين اللذين طرقاه ، لم يكن يحسب ان سـيكون لزيارتهما ذلك الاثر الخطير فى نفسه وفى كيانه مثل ما وقع له بعد ذلك.. فعندما سألهما عما يريدانه ، وأخبره أنهما من منـدوبى مصلحة الضرائب ، اشار بيد مرتعشة الى الاريكة وأخذت عيناه البارزتان تدوران فى مجريهما وهو يقول :

ـ تفضلا بالجلوس .. هل من خدمة استطيع أداءهـا لكما ! .. اهناك خطأ فى ضريبة الدخل ؟

ولكن أحد الرجلين ظل ينظر الى الارض دون ان يقول شيئا ، على حين ازاح الثانى قبعتـه الى الخلف وراح يحدق فى السقف كأن به شيئا يثير عجبه ..

ولم يجلس براثر ، وانما ظل يفرك يديه فى اضطراب وهو يقلب نظراته بين الرجلين ، فى حيرة بالغة .

وأخيرا قال أحدهما فى تراخ :

ـ هل تعرف رجلا يدعى سام جفريز ؟
فقطب براثر حاجبيه ، وأجاب :
ـ جفريز ؟ .. كلا لا احسبنى اعرفه ..
ـ ولكنه قال انه جاء الى هنا لمقابلتك . وكان دقيقا فى وصف المـكان ..
فازداد قطوب براثر ، وسارع قائلا :
ـ أوه ! .. نعم .. اظننى عرفت من تعنيه .. أجل لقد كان هنا حقا .. ما شانه ؟ ..
فرفع الرجل الآخر رأسه ، وقال :
ـ كيف حال شنغاى الآن ؟ .
فاهتزت اهداب براثر سريعا ، على حين استطرد الاول
ـ وعلى الاخص رقم ٩٠٣ بشارع بابلنج رود ؟ ..
وازداد اهتزاز اهداب براثر سرعة ، ولكنه قال :
ـ لست اعرف عن أى شىء تتحدثان ..
فلم يزد الرجلان عن التنهد متعجبين بينما اردف براثر:
كما اننى لا أعرف سبب أهتمام مصلحة الضرائب بى
فمال أكبر الرجلين الى الامام قائلا :
ـ اعتقد أن سام جفريز قد أحضر لك لفافة ما .. أو بضعة لفافات ؟ ..
ـ نعم .. لقد احضر لى من شنغاى تمثـالا من الخـزف يمثل راهبا شيخا يحمل سلة ملأ بالســمك .. وهو تحفـة فنية حقا ..
ـ أين هـو ؟
ـ أوه ! .. لقد اعطيته الى .. الى صديقة لى ..
فزام الرجلان معا ، ثم مضى اكبرهما قائلا :

ـ وأين قابلت جفريز هذا ؟
آه ! .. لست أذكر تماما .
فحدجه الرجل بنظرة صارمة ثم قال :
ـ لقد قابلت سام جفريز للمرة الاولى ، وفقا للمعلومات التى لدينا ، فى مكان يدعى « مقصف كوكى للبحارة » فى ١٨ أغسطس ، وفى تلك المقابلة عقدت معه اتفاقا معينا قبل ان يرحل الفتى بباخرته .. وفى ٣ نوفمبر قابلك سام جفريزا هنا ، واحضر معه جوهيمان .. فلماذا .. وأى اتفاق عقدته مع كليهما ؟ ..
ـ لو انكما ايها السيدان تسمحان بافهامى ما تسعيان وراءه لكان مع المستطاع ان اساعدكما .. ولكنكما حتى الآن تتكلمان على غير هدى وفى غير معنى ..
فقال اصغر الرجلين :
ـ ينبغى ان تجيب على أسئلتنا يا مستر براثر والا ففى وسعنا ان نأخذك معنا الى المدينة ، ونثير امامك الكثير من المتاعب ..
ـ ولماذا ؟ .. اننى لا أفهم هذه المهزلة بعد ، كما انكما لم توجها لى اتهاما معينا ..
ـ ما الذى تعرفه عن رقم ٩٠ شارع بابلنج رود بشنغهاى .. وما الذى قلقته لسام جفريز ؟ .. ومن هو الشخص الذى تأمر بأمره ؟ ..
وكيف تحسب انك سوف تنجو من هذه الورطة ؟ .. هذه يا صديقى بضعة اسئلة معينة اذا شئت ..
ـ ولكن .. ولكن .
ـ فهمت لعل الافضل اذن أن تأتى معنا يا مستر براثر

فراح براثر يجيل نظراته بين الرجــــلين ، ثم أمعن فى التفكير .. وكأنما استمد الجرأة من فكرة معينة طرأت له، اذ ما لبث أن قال فى حزم :

ـ انى لا اعرف ما تسعيان وراءه .. ولكن اعــرف اننى مواطن لى من الحقوق الدستورية ما يكفل لى ان ارفض ما تطلبانه ما لم توجها لى اتهاما معينا بطريقة رسمية .. ولن اضيف شيئا الى ذلك .. فمع السلامة ..

فنهض الرجلان متمهلين ، وراحا يحدجانه بأبصارهما لحظة طويلة ، قبل أن يقول اكبرهما : حســنا .. على رسلك أذن ..

وما كاد ينصرفان حتى اسرع براثر بدوره ، فاختطف قبعته وهرع الى الطريق حيث استقل سيارة مضى بها الى عيادة الدكتور زلرمان ببارك افنيو ..

ولم يسر زلمان لرؤيته ، وراح يصغى الى قصته مقطب الاسارير ، واخيرا قال :

ـ وهكذا قدتهما نحوى رأسا يا ســيد برار ! .. لقــد كانت هذه خطوة غير موفقة منك ..

ـ اننى لم أقدهما أليك .. فلم يتبعنى أحد ..

ـ هل لى أسألك كيف عرفت ذلك ؟ .. انك فى حالة من الاضطراب بحيث اذا تبعك فيل لمــا فطنت اليه ...

وتناول زلرمان التليفون ، وأدار قرصه على رقم معين، ثم ما لبث ان قال :

ـ هات اثنين من رجالك وتعال فى الحال ..

فهمهم براثر :

ـ ما الذى تريد ان تفعله ؟

ولكنه لم يتلق من الطبيب ردا .. فكرر السؤال مثنى وثلاث من فزع ظاهر ، دون ان ينال جوابا ..

وأخيرا قال الطبيب فى صوت بطىء صارم النبرات :

ـ ان احد الشروط الرئيسية لمؤسستنا هـذه ، هى ان يعنى كل فرد فيها بنفسه ، كما تعلم .. ولكنك بحمقك قد وضعت نفسك فى مركز شديد الخطر ولذلك غدا من مصلحة المؤسسة ان تحميك ..

ـ هل تعنى انك لن ..

ـ اقضى عليك ؟ .. معذرة يا عزيزى براثر.. لقد كنت اقول لك من الشروط الاساسية لجماعتنا ان نعنى بأنفسنا .. كلا .. كلا .. ولكن هل حدثتنى خلال انتظارنا هذا ، عما قلته لرجال الحكومة بالضبط ؟ ..

ـ لم أقل لهما شيئا ، وانما كان يبدو انهما يعرفان اكثر مما يتوقع ان يعرفاه .. ولما رأيت ان اسئلتهما قد بلغت حدا خطيرا ، فعلت ما يجب فعله وطردتهما ..

ـ ما الذى كان يبدو انهما يعرفانه ؟ ..

ـ لقد ذكرا جفريز وهيمان ، وكانا يعلمان ان الفتين احضرا لى شيئا من شنغهاى ، وسألانى عما اعرفه عن رقم ٩٠ شارع بابلنج رود ..

ـ وقد أنكرت ذلك طبعا ..

ـ بالطبع .. ولكن كيف عرفا كل ذلك ؟ ..

ـ من يدرى ؟ .. ان البحارة اذا امتلأت جيوبهم بالمال يشربون حتى الثمل ، ويثرثرون كثيرا .. ومن سوء الحظ ان جفريز وهيمان ما كانا يستطيعان الثرثرة الا عنك وحدك .. ولكنك لن تفشى السر قط ..

فازداد براثر لعابه وغمغم :

ـ بلا ريب .. وانى أعرف ما سألاقيه من متاعب ، ولكن اذا لم تتخل عنى ..

وساد الصمت برهة .. وكان يبدو ان الدكتور زلرمان قد قال كل ما يريد قوله ، وان جيمس براثر كان يخشى ان يقول شيئا آخر .. واخيرا جاءت السكرتيرة الشقراء لتقول ان مستر كاربنتر واثنين من اصدقائه يريدون مقابلة الطبيب ، فأمرها بادخالهم على الفور ..

وقدم الطبيب القادمين الى براثر ، ثم قال لكاربنتر :

ـ ان مستر براثر لسوء الحظ قد استرعى انظار بعض الفضوليين ، بحيث غدا لزاما ان نضعه فى مأمن من الخطر الذى يتهدده من رجال الامن .. وانت تعرف ما ينبغى صنعه ..

فنهض براثر قائلا :

ـ لست ادرى كيف اشكر لك هذه العناية يا دكتور زلرمان ..

فلوح الطبيب بيده فى تواضع وهو يقول :

ـ هراء .. اننى اؤدى ما يجب لك من حق علينا ..

وكان براثر يثنى اصابعه فى توفز بينما كانت السيارة السوداء الطويلة تدرج بهم فى شوارع نيويورك اكثر من ساعة حتى خلفت المدينة وراءها وراحت تسير فى الطريق الزراعية .. وكان يجلس فى المقعد الخلفى بين زميلى مستر كاربنتر بينما كان هذا يقود السيارة فى براعة الى الهدف المجهول الذى يقصدونه ..

فلما مشت بهم السيارة ساعة اخرى ، انحرف بها كاربنتر الى ممر جانبى ضيق مضى فيه زهاء نصف ميل،

ثم اوقف السيارة ونزل منها وهو يقول :
ـ هيا بنـا ء ..
فتتبعه براثر ، فى قلق خفى ، وسار معه بجانب سياج من الاسلاك الى بقعة اينعت بالخضرة الفيحاء، وازدهرت بأشجار التفاح .. ولكنه لم ير اثر لبيت او مزرعة ، فوقف مكانه وقال فى صوت متهدج :
ـ الى اين تأخذنى ؟ ..
فتحول كاربنتر ليواجهه ؟ وهو يقول :
ـ سوف تبقى هنا ..
وفى مثل وميض البرق ، استل مسدسا من جيبـه ، وسدده الى قلب براثر .. ولعل الطلقة الاولى كانت كافية، لولا ان السيد كاربنتر ، وهو رجل ذو ضمير ، تبعها بأخرى حتى يتوثق من موت ضحيته سريعا ..

الفصـل الثـامن

تسلل لوبين من السلم الخلفى للفندق متسربلا بالظـلام والخفاء ، ومرتديا ثيابا بلية لبحار قديم العهد بالبحار ، وثد قوس كتفيه قليلا حتى يبدو متوسط القامة وليس فارغ العود كعهده . وكان تنكره بارعا . ، فالشمس تلوح بشرته، وتضفى لونا احمر على شعره وشاربه والشعيرات النامية من لحيته ، بحيث لم يكن فى وسع احد حتى أخص معارفه ان يتبين فيه ارسين لوبين الذى يعرفه ويألفه ..
وخرج من الفندق دون ان يراه احد .. فمضى الى مقصف البحارة الذى تديره كوكى ، حيث راحت حارسـة الباب البدينة ذات لشعر المصبوغ تفحص اوراق شـخصيته فى امعان شديد ، قبل ان تمنحه ابتسامة عريضة بانت خلالها اسنانها الذهبية ، وهى تقول :

ـ يسرنا ان نراك معنا يا مستر سيمونز .. فتفضل بالدخول وعد نفسك فى منزلك ..

وتفضل ارسين لوبين بالدخول .. فوجد نفسه فى قاعة رحبة ملأى بالموائد الخشبية والمقاعد التى ابلاها طول الاستعمال ، وفى ركن منها معزف قديم ، وقد زينت جدرانها بنقوش ورسوم يدوية لنساء عاريات ، ويقرب المدخل منضدة طويلة عليها بعض الصحف والمجلات الشعبية .. وكان فى نهاية المقاعد مقصف طويل وقف خلفه رجلان فى ثياب خفيفة ، يوزعان الشطائر والحلوى وزجاجات من شراب مرطب خلو من الكحول ..

وكانت القاعة مكتظة برجال من اعمار مختلفة ، يرتدى اكثرهم ثيابا مدنية بينما الباقون فى زى البحارة المعروف ، وقد انهمك بعضهم فى لعب الورق او النرد ، على حين كان البعض يرقصون مع فتيات خصصتهن كوكى للترفيه عن ضيوفها ، وهن فتيات جميلات فى مقتبل العمر ، يرتدين مراول بيضاء رصعت بنجوم زرقاء وبينها فى وشى جميل كلمتا « مقصف كوكى » .. وفى الوقت نفسه كان لفيف من الخدم الرجال يرحون يغدون بين الموائد لجمع الزجاجات الفارغة والصحاف المستعملة ..

فما دخل لوبين ، سار نحو المقصف وتناول زجاجته وصحفه وشطائره ، وتحول نحو القاعة مخترقا الزحام وسط سحابة كثيفة من دخان السجاير تخلقت تحت السقف المنخفض ، وهو يفكر فى خطوته التالية وما ينبغى ان تكون ..

ووقفت امامه احدى الفتيات المضيفات قائلة فى مرح :

ـ هالوا ! . هل اخذت كاسا تريده ؟ ..

ـ نعم .. شكرا ايتها الانسة ..

آه ! .. لاريب انك انجليزى ؟ ..

ـ تماما ايتها الانسة ! .. من أولد جيت .. ولــكن كيف حدست ؟ ..

ـ لقد اعتقدت التمييز بين اللهجات المختلفة .. اهذه اول زيارة لك ؟ ..

ـ نعم ايتها الانسة ..

ـ ومتى جاءت الى نيويورك ؟ ..

ـ فى الليلة الماضية فقط .

ـ حسنا .. انك لم تضيع وقتا طويلا قبل الاهتـــداء الينــا .. الك اصدقاء هنا ؟ ..

ـ كلا ايتها الانسة ! .

وكان لوبين ينطق بهذه الكلمات عندما وقعت انظاره على وجه يعرفه ، كان صاحبه يجلس بمفرده ، بعـــد ان انصرف زميلان له للتو .. وكان الرجل يدفع مقعده ويتلفت حولية عندما رآه لوبين ، فقال للفتاة مستدركا :

ـ يا الهى ! .. هذا صديق أعرفه .. معذرة ايتها الانسة واندفع وسط الزحام ، حتى بلغ مائدة ذلك الرجل فوضع زجاجته فوقها وهو يقول :

ـ مرحى ايها الزميل ! .. اننى واثق انى اعرفك .. اليس اسمك باتريك هوجان ؟ ..

فنظر اليه الاخر بوجه ممتلى لا يزال لوبين يذكر حمرة الخجل التى كانت تعلوه عندما قدمته كوكى الى جمورها فى الليلة الاولى لزيارة لوبين للملهى .. وقال :

ـ يقينا يا اخى ! .. هوجان هو اسمى .. فما اســمك انت ؟ ...

ـ توم سيمونزا ..

ـ الست اذكره .. ولكن لاتبال بذلك .. اين التقينـا من قبل ؟ ..

ـ ربما كان ذلك فى مورمانسك ، اثناء الحرب ؟ ..

ـ لا ريب فى ذلك . فقد قضيت بها اسبوعين فى رحلتين متواليتين ..

وكان صوت هوجان مرتجفا ، ورائحة الخمر تفوح من فمه مما ينم على انه شرب كثيرا قبل ان يحضرا الى المقصف

ونظر لوبين حواليه وهو يقول :

يا له من مكان ظريف !

ـ ليس ثمة افضل منه فى نيويورك كلها يا توم .. كما ان كوكى نفسها .. ياالله ! انها ملكة ! . وهى تغنى تـلك الاغانى الجميلة التى تجعل اباك نفسه يحمر وجهه خجلا!

ـ يا الهى ! اهى كذلك ؟ ..

ـ يقينا انها كذلك .. لم تسمعها من قبل ؟ ..

ـ كلا .. هل ستحضر الليلة ؟ ..

ـ بلا ريب .. سوف تحضر من دقيقة لاخرى ، ولهـذا جئت الى هنا .. ولولا ذلك لفضلت كأسا من الشراب وفتاة اقضى السهرة معها ..

ثم مال قليلا نحو لوبين ، وقال وهو يغمز بعينه :

ـ ولكن كوكى تستطيع ان تدبر لك ذلك ايضا اذا كنت صديقا لهـا ! ..

فلعق لروبين شفتيه ، وهتف فى لهفة :

ـ يا لله ! .. وهل انت صديق لها ؟ ..

ـ يقينا اننى صديقها ! .. لمـاذا ؟ .. لقد اخذتنى ليلة

السبت الماضي وصديقا لي الى ذلك النادي العظيم الذي تملكه ، وقدمت الينا أوفر قسط من الشراب يمكننا احتماله، فقضينا وقتا ممتعا كأنا لوردان عظيمان حتى مطلع الفجر .. وقد قالت أننا نستطيع ان نعيد الكرة كلما اردنا ذلك .. وما دمت صديقي يا توم ، فسوف تعاملك بالمثل ..

يا اله السموات ! .. هل انت واثق من ذلك ؟ ..

ـ يقينا يا صديقي ! ..

ولو اني اعجب كيف يتلهف كهل مثلك على هذه الامور !

ـ انني لست من الكهولة بحيث أزهد فيها ..

وفي تلك اللحظة انحنى شبح فوق المائدة وراح يمسحها بمنشفة ملونة وكانت اليد التي امتدت بها شـــاحبة اللون طويلة الاصابع ، لاحظ لوبين ان اظافرها قد صقلت بطــلاء بنفسجي اللون .. فلم يجرؤ على الاعتقاد بان شـيئا كهذا يمكن أن يكون حقيقيا ، وراح يرفع عينيه في حـــذر حتى استقرتا على ذلك الوجه النحيل والشعر الذهبي ..

نعم لقد كان ذلك فرديناند بيرفيلد حقا ..

ونظر مستر بيرفيلد الى لوبين في امعان ، ولكن لم نبد عليه لمحة تنم على انه عرف حقيقته .. وما لبث ان حـــول نظراته الى هوجان ثم قال :

ـ اثمة ما تشكو ان منه يا صديقي ؟ ..

فشـــكره هوجان ، وعندئذ حياهمـا بيرفيلد بابتسامة وانصـــرف ..

وما مضت لحظة حتى تبدلت اسارير هوجان ، وصـاح في ابتهاج :

ـ ها هي يا توم ! .. ها هي كوكي ! ..

وكانت الانوار قد بدأت تخفت في القاعة عندما قال ذلك،

فبدت كوكى للعيان وهى تتقدم نحو الضوء الوحيد الذى ظل ساطعا على منصة صغيرة بجوار المعزف .

وكانت على محياها تلك الابتسامة التقليدية التى تقابل بها زبائنها .. وانثنت تحيى الحاضرين وترد على هتافهم بتحريك يدها وخصرها ، ثم بدأت ترتل اغانيها المعهودة ، واحده بعد الاخرى ، وهى اغانى وقحة مبتذلة يندى لها الجبين خجلا ، والحضور لا يكفون عن الصياح والهتاف فى حماسة منقطعة النظير ، حتى بح صوتها وتورد وجهها من فرط المجهود الذى تبذله ، وتصبب العرق منه غزيرا .. وفى خلال ذلك كان لوبين لا يكف عن الهتاف والاستحسان والتصفيق حتى يجيد الدور الذى يؤديه امام هوجان ..

واخيرا كفت كوكى عن الغناء ، وهى تلهث من فرط التعب والجهد الذى بذلته ، واتجهت الى الحاضرين قائلة :

ـ هذا كل شىء الليلة يا ابنائى .. فالى اللقاء غدا ..

وهبطت من فوق المنصة فاستقبلتها الايدى بالمصافحة والتلويح فى حماسة بالغة .. ونهض باتريك هوجان وهو يدفع المائدة امامه ويصيح بصوت مدو :

ـ هالو .. كوكى ! ..

كانت سترته قد ارتفعت قليلا عند وقوفه ، فرأى لوبين فى جيب سرواله الخلفى مسدسا اوتوماتيكيا ، من طراز لا يحمله البحارة قط ..

واشعل لوبين لفافة ، وهو يفكر فى هذا الاكتشاف الجديد ، ويحاول ان يفهم حقيقة باتريك هوجان وموقفه فى هذه المغامرة كلها ..

جلست كوكى معهما فقدم هوجان اليها لوبين قائلا :

ـ ها هو صديقى توم سيمونز ، وهو بحار كهل وزميل قديم ، سكرنا معا فى مورمانسك ..

فحيته كوكى ، وسألها عن حالها فأجابت :

ـ اننى متعبة جدا .. ولا تزال امامى بعد ذلك حفلتان فى الملهى الخاص بى ..

ـ لقد استمتعت كثيرا بغنائك يا سيدتى ..

ـ اهذه اول مرة تسمعنى فيها ؟ ..

ـ نعم يا سيدتى ..

ـ نادنى بكوكى فقط .. فالكل يفعل ذلك ..

فقهقه هوجان فى مرح ، وقال :

ـ نعم يا سيدتى ..

ـ أراهنك انها لن تكون الأخيرة ..

وعادت كوكى تسأل لوبين :

ـ وهل ستبقى طويلا في نيويورك ؟ ..

ـ كلا سنبحر يوم الثلاثاء عند العشاء .. وهى أوامر الربان . مع أننا لم نلق المرساة الا أمس فقط .. أليس ذلك أمرا سـخيفا ؟ ..

ـ انه كذلك حتما .. والى ية جهة تقصد باخرتك بعد ذلك ؟ ..

ـ سنجتاز قناة بنما الى شنغهاى رأسا ثم نعود الى سان فرانسيسكو ..

فقاطعه هوجان قائلا :

ـ ماذا ترين يا كوكى فى جرعة من الشـراب الجيـد تقدمينها لصديقين قديمين مثلنا جف حلقاهما من الهتاف لك ؟ ..

فنفثت كوكى دخان سيجارتها ثم نفضت رمادها فوق المائدة وهى تعاود النظر الى لوبين فى نظـرة لا تنم على شىء ولكنه ادرك انها تفكر فى أمره .. واخيرا قالت :

ـ ربما استطعت ان اجد شيئا من اجلكما ..

ونهضت من مجلسها فتبعها هوجان ولوبين ، على حين قال الاول مفاخرا :

ـ الم اقل لك يا توم ؟ ..

فغمغم لوبين فى احترام :

ـ انك رجل عظيم يا بات ..

ومضيا وراءها من باب صغير خلف المقصف أدى بهمـا الى المطهى .. وكان خاليا الا من مائدة كبيرة رصت فوقها أرغفة الخبز وشرائح الجبن ولحم الخنزير المقدد .. وكانت فى ركن منه كومة من الصناديق الفارغة ..

وقادتهما كوكى الى حجرة أخرى داخل المطهى ، كانت بالغة الضيق ، لا تكاد تتسع للمقعدين ومنضدة الكتابة التى كانت كل اثاثها .. وكانت كاى ناتيللو تجلس أمام المنضدة وهى تكتب على آلة كاتبة قديمة ، بأصابع كأنها مخـالب الدب . فهتف هوجان فى غير كلفة :

ـ هاللو كاى ! .. كيف حال حبيبتى الليلة ! ؟

بينما قالت لها كوكى :

ـ لقد حضرنا لنشرب كأسا ، فهلا تكرمت باحضار بعض الأقـداح ؟ ..

ـ فمضت كاى الى المطهى ، وعادت تحمل اربعة اقداح فارغة ، على حين اخرجت كوكى من درج المنضدة زجاجة

من الويسكى الاسكتلندى بها نصفها .. ثم قالت لكاى :
ـ هذا توم سيمونز يا كاى .. وقد رست باخرته امس فقط وستبحر ثانية يوم الثلاثاء .
ـ وا أسفاه !!
ـ اننا جميعا ينبغى ان نعمل ايتها الانسـة .. ثم ان العمل فى البحر لذيذ ومسل ، ما لم تغرق بنا ! ..
وملأت كوكى الاقداح فشربوا جميعا ، على حين سـألت كاى : ـ
ـ وهل ستبحر قريبا بالمثل يا بات ؟ ..
ـ فى الاسبوع القادم .. سنذهب الى جنوب افريقيـا والهند وسنغافورة ثم نعود ثانية من الطريق نفسها ..
ـ سوف نشعر بالفراغ الذى ستخلفه بيننـا .. وانت يا توم .. هل أنت عائد الى انجلترا ؟ ..
ـ أوه .. لا .. بل الى شنغهاى من قناة بنـاما .. ثم نعود الى سان فرانسيسكو ..
وملأت كوكى كأسها ثانية وجرعتها دفعة واحـدة ، ثم نهضت قائلة :
ـ ينبغى ان اترككم الان للذهاب الى الملهى ..
ومضت نحو الباب ، ولكنها توقفت كانما نسيت شـيئا واستدارت قائلة :
ـ لماذا لا تحضر ان الى (القبو) بعد ان تفرغا من هنا ؟
فربت جوهان على ظهرها وهو يهتف :
ـ مرحى ! لقد كنا سنفعل ذلك حتما ، وسـنذهب للهتاف لك هناك ، اليس كذلك يا توم ؟
فصاح لوبين يقلده :

ـ يقينا اننا سنفعل يا بانى ! ... اننا لم نشبع من غنائها بعـــد ..

فقالت كوكى :

ـ حسنا .. سوف انتظركما .. وعليك يا كاى ان تعنى بهما وتحضريهما معك .

واستجمعت شتات جسمها ، ثم غادرت الحجرة مسرعة وعملت كاى بنصيحتها ، فعنيت بهما ..

ولكن لوبين لم يدع نفسه فريسة لهذه العناية البالغة التى انحصرت ، بعد فراغ زجاجة الويسكى ، فى المرور على عدة حانات فى الطريق ، واحتساء كأس او اثنتين فى كل منها .. وكان هوجان يزداد ثملا كلما ازداد شرابا ، وراح يغازل كاى ويقول انها فتاته ، وان فتاة الرجل الايرلندى هى قلعته .. وكان لوبين يتظاهر بالثمل ولكنه كان ينتهز الفرصة ليريق الشراب فى اقرب ركن منه ، او تحت الموائد .. أما كاى فام يكن يبدو عليها أى اثر للشـــراب الذى تناولته ، وكانت تستجيب لمغازلة هوجان لها كلما تذكرت ان من واجبها ان تفعل ذلك .

وبذلك استغرق ذهابهم الى قبو كوكى زمنا طويلا .. ولكنهم وصلوا اليه على أية حـــــال .. وكان كـل شىء كعهد لوبين به منذ ليلتين ، ولكنه كان الليلة من الابطال الذين يستقر فوقهم النور الكشاف وتحييهم الجماهير .

وكانت كوكى تجار باغنية بذيئة لم يسمعها لوبين من قبل فقالت له كاى مفاخرة :

ـ انها من تاليفى !

فقال لوبين فى احترام واعجاب :

ـ ما شاء الله ! .. سلمت يدك !

وقـد قلنا ان كل شيء كان كعهـد لوبين فى الليلتين الماضيتين على غير ما كان يتوقع .. فقـد كانت افالون دكستر هناك ايضا .

ولكنها لم تكن قد جائت لتعمل ، بل جلست كأحـد المتفرجين ، الى مائدة فى مؤخرة القـاعة .. وكان يحس بشعور غريب لجلوسه هكذا رقيبا عليها ، دون ان يجـول بخاطرها قط انه هناك ، وعلى الرغم من ان نظـراتها العابرة كانت تمر به دون وعى .

وما ان فرغت كوكى من اغنيتها حتى مضت وسط هتاف المعجبين ، الى منضدة المقصف حيث كان الساقى قـد اعد لها قدحا كبيرا من الويسكى جرعته سريعا ، وعـادت الى مائدتها ؟ وكان معها وقتئذ الدكتور زلرمان .

وبعد ان اتمت التعارف بين الجميع ، فقالت للطبيب :

ـ ان توم سيرحل الى شنغهاى يوم الثلاثاء ..

وكان لوبين يتظاهر بالثمل ، فاضطجع فى مقعـده ، وبصق بعض الشراب ثم قال فى تثاقل :

ـ وسوف أرى ان كان ما يقال عن الصين وسـحرها صحيحـا ..

فقال له زلرمان فى هدوء ، بعد ان تبادل نظرة خفية مع كوكى ، لم تفت لوبين :

ـ فى وسعى ان ارشدك الى بعض الاماكن لتذهب اليها لقد قضيت فى شنغهاى وقتا طيبا قبل الحرب .

وكانت نظراته للوبين متفرسة فى امعان شديد ، ولكنه كان يكسوها بلمحة من العطف والشفقة .. وما لبث زلرمان

آن تناول كأسه والتفت الى كوكى قائلا :

ــ على فكرة .. لست أدرك لماذا لا تدعين مستر هوجار ومستر سيمونز لقضاء بعض الوقت فى لونج ايلاند ؟ انهما يستحقان من العناية والرعاية اكثر مما استطيع ان أقـدمه لهما هنـــا .

فهتـــف كوكى :

ــ يا له من رأى عظيم ! .. فماذا تقولان أيها العزيزان؟ ان لى كوخا صيفيا على شاطىء الاستحمام فى سوثاه بثون (بضواحى نيويورك) .. ثم اننا لا نفتح هذا الملهى فى ايام الاحاد عادة،لذلك أرى ان تاتيا معنا لنسبح فى المحيط ثم اعود بكما صباح يوم الاثنين ، دون ان تتكبدا ســنتا واحدا ؟ . سوف نذهب جميعا فى سيارة الدكتور زلرمان وسيارتى بمجرد انتهاء العمل الليلة ، وسوف اهيىء لكما صحبة طيبة لمرافقتكما .. فستكون افالون دكستر معنا .

الفصـــل التاســـع

وغمغم لوبين برغبته فى الخروج لحظة ليقابل رجلا كان على موعد معه لشراء كلب منه ، ثم غادر الملهى الى كشك قريب للتليفون فاتصل بالفندق وسأل عن أفالون ، فقيل له انها ليست موجودة وقتئذ وسأله عامل التليفون عما اذا كان يريد أن يترك رسالة لها .. فسأله لوبين عن موعـد عودتها فأجاب :

ــ لست أدرى يا سيدى .. ولكنها تتصل بنا كل نصف ساعة فى انتظار رسالة لها .. فهل أنت مستر لوبين ؟

فحبس لوبين أنفاسه لحظة ، ثم استقر رأيه على شيء فقال :

ـ نعم ..

ـ لقد كانت تسأل عنك يا سيدى .. فهل يمكنها أن تتصل بك ؟ ..

ـ أخشى أن يكون ذلك متعذرا الليلة .. ولكن أخبرها اننى سأقابلها غدا .

فلما عاد الى الملهى ، وجد انهم اتفقوا على كل شيء

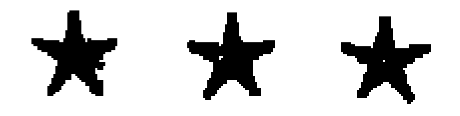
من تفاصيل الرحلة ، وكانوا فى انتظار عودته ليأخذهم زلرمان فى سيارته الكبيرة .. وقالت كوكى :

ـ أما انا فسأبقي حتى يغلق الملهى .. كما أن أفالون قد تحتاج الى احضار بعض لوازمها وسوف أحضرها معى .

فأدرك لوبين ان أفالون لا تعلم بأن زلرمان سوف يكون من أعضاء هذه الرحلة .. وتحقق من ذلك عندما كانوا يهمون بالانصراف ، اذ مرت بهم فى تلك اللحظة عائدة من حجرة الزينة وكانت عيناها شاردتين ، وفى أساريرها مسحة من الكآبة والوجوم ..

ـ طاب مساؤك يا افالون ؟

فردت الفتاة تحيته فى اقتضاب دون ان تدع له فرصة التحدث اليها ، اذ مضت فى طريقها لا تلوى على شيء .. على حين ظل الدكتور زلرمان يتبعها بنظراته وقد جمدت اساريره حتى غدا كتمثال من الرخام .



فلما فتح عينيه ثانية ، كانت الانوار الكاشـفة للسيارة لا تزال تخـترق الظلام .. فأشعل لفافة ، وعندئذ قال زلرمان :

ـ لقد اقتربنا من وجهتنا ..

ولم تمض برهة حتى بدت للعيان منـازل سوثامبتون الصغيرة ، وقد هجعت فى سكون الليل .

وبعد قليل استقرت بهم السيارة امام احـد الاكـواخ المتناثرة على الشاطىء .. ولكنه لم يكن كوخا صغيرا كما دعته كوكى فى تواضع، وانما كان منزلا متوسط الحجم ذا طابقين ، فتحه زلرمان بمفتاح معه واضاء النور ، فولجوا الى بهو متوسط السعة باحد اركانه درج خشبى يؤدى الى الطابق الاعلى .. ومضوا بعدئذ الى قاعة استقبال فسيحة لا تقل فى السعة عن (قبو كوكى) نفسه ، ذات نوافـذ واسعة منخفضة على الطراز الفرنسى تطل على البحر ، وأرائك وثيرة كبيرة .

وأزاح زلرمـان مرآتين كبيرتين عن أحـد الجـدران ، فانزلقتا بداخله ، وكشفتا عن (بار) أنيق ذى ثـلاثة مقاعد عالية ، ورف رصت فوقه زجاجات من الشـراب مختلفة الانواع .. فدخل زلرمان خلف المنضدة وهو يقول :

ـ ماذا تقولون فى كأس من الشراب ؟

فصاح هوجـان :

ـ يقينا يا دكتور ! .. لا ريب ان هذا ما كنت احـاول النطق به عندما كنت نائما احلم بقناة السويس اثناء مجيئنا

وعندئذ قالت كاى :

ـ سوف اذهب لاحضر لكم بعض قطع من الثلج .

قال هوجـان :
ـ سأذهب معك لمساعدتك .
وخرجا معا ، بينما جلس لوبين على احد المقـاعد امام المقصف ، واسند مرفقه فوق المنضدة وهو يرفع قبعته الرثة الى الوراء .. ووضع زلرمان بعض الاكواب امامه ، ثم انتقى زجاجة من الويسكى المعتق وراح يصبه فيهـا .. وما لبث ان قال فى بساطة :
ـ هل انت مع باتريك فى نفسه السفينة ؟
ـ كلآ .. لقد تقابلنا فى مورمانسك .
ـ طبعا .. كان ينبغى ان أذكر ذلك .. وهو ذاهب الى سنغافورة وانت الى شنغهاى ..

ـ تماما ياسيدى ..
ـ هل تعرف باتريك منذ مدة طويلة ؟
ـ منذ الحرب الماضية فقط .. وكان ذلك فى مورمانسك
ـ ولم تره حتى التقيتما فى (مقصف كوكى الليلة) ؟
ـ بالضبط .. وقد قلت له انى رأيته من قبل .. فقـال لى انه رآنى من قبل .. و ..
ومضى لوبين على هذا النحو من الاقوال التى يبدو فيها اشتداد الثمل به ..

بينما كان زلرمان منهمكا فى اعداد الشراب .
وعاد باتريك وكاى ناتيللو بعد قليل يحملان الثلج ، فمضت ساعة أو نحوها ولوبين يثرثر مع الدكتور زلرمان على حين جلس باتريك وكاى على الاريكة والاول يغنى بصوته الاجش اغنية (هل جاءت والدتك من ايرلندا ؟) بينما اسندت المرأة رأسها الى كتفه ومضت ترشف قطرات

من كأسها حتى لا تملاء ثانية ، وقد ارتسمت فى محيـاها سمة شريرة لا تناسب المجـال ٠٠

وما مضت ساعة حتى وقفت سيارة امام الباب ، ثم سمع وقع اقدام ودخلت كوكى تتبعه افالون دكستر ، ثم فرديناند بيرفيلد ٠٠ ولكن لوبين لم يبال حتى بالنظر اليه ، وركز نظراته على افالون ٠

والقت الفتاة نظرة سريعة على الحاضرين ، فلما رأت زلرمان بدأ عليها الوجوم والضيق لحظة خاطفة بحيث لم يلحظ احد هذه الحالة سوى لوبين الذى كان يتفرس فيهـا مترقبا ما يبدو فى اساريرها عند رؤية زلرمـــان ، حتى يتبين ان كان وجوده مفاجأة لها حقا ٠

ولوحت افالون بيدها محييه ، ثم القيت بنفســها على الاريكة بجوار باتريك هوجان وكاى ناتيللو وراحت تثرثر مع هوجان عن النوادى الليلية والاغانى ٠

وملأ زلرمان قدحين احدهما لكوكى ثم مضى بالاخــر نحو افالون فقدمه اليها وجلس على مسند الاريكة بجوارها وهو يقول فى تودد :

ـ اما وقد اجتمعنا كضيوف هنا فهلا تركنا الخصـام وتصـــافينا ؟

فنظرت اليه افالون قائلة فى صوت خافت :

ـ لقد دفعت الى الحضور دفعا ٠ ومع ذلك فســـوف ادع خصامك واصفح عنك آذا ابتعدت عن ذراعى ٠٠

ثم استدارت لتستأنف حديثها مع هوجان عن الاغانى ٠

وكان لوبين قد سمع ما قالته للطبيب اذ كان قد ارهف سمعه لحديثهما ، وعندئذ مضى الى ما وراء منضدة البار

وملأ لنفسه قدحا كبيرا من الويسكى المعتق .

فلما نظر نحو زلرمان ثانية وجده واقفا مع كوكى وعلى فمه تلك الابتسامة الخـالدة .. على حين كان باتريك يبين لافالون كيف تغنى اغنية (عندما تبتسم العيون الايرلندية)

وكان زلرمان يقول :

ـ ان الغد موعد مناسب تماما .

فاجابته كوكى :

ـ بل لا يزال امامنا متسع من الوقت .

ثم سارا معا نحو (البار) .. وفى الوقت نفسه كان مستر بيرفيلد يتسكع فى الحجرة وقد بدأ عليه الامتعاض لان احد لم يبد اى تقدير نحوه أو يحتفى به ، ولانه كان يحس نفورا واشمئزاز حيال هوجان ولوبين وكان يرمقهما فى ازدراء ..

ـ وعاد الدكتور زلرمان خلف البار ، فاتكأ عليه ، وبدأ يقول للوبين :

ـ اننى يا مستر سيمنز ، فى دراستى المختلفة للنفس البشرية ، لم اجد شيئا يسحرنى ويملك على حواسى مثل نفسية البحارة والملاحين .. ولا ريب انك سمعت ما يقال عنهم وعن (فتاة كل ميناء) و (ماذا نفعل بالملاح الثمل ؟) وغير ذلك من الاقوال التى ترمز الى نفسيتهم المرحـــة وتركهم لنفوسهم على سجيتها .. وكل ذلك بسبب اقامتهم فى البحر ذلك الذى كان يغطى سطح الارض كلها يوما من الايام ، والذى خرج منه اجدادنا الاولون ليزحفوا عــلى اليابسة وينشئوا الحياة البدائية الاولى لتى نعمل نحن على توسيعها وتكبيرها .

وكان لوبين يرمقه فى اعجاب وتقدير وقد بدت عليـه

علائم عدم فهم ما يقول ، بينما كانت كوكى تصب لنفسها كأسا اخرى وتقول لبيرفيلد :

ـ بالله لا تفسد علينا متعتنا الليلة يا فردى وتناول بعض الشراب ثم امض لترى هل أعدت الاسرة للضيوف .

وكان زلرمان قد استأنف حديثه مع لوبين ، فقال :

ـ ولنأخذ حالتك مثلا يا توم .. فعندما تصل الى شنغهاى ..

ولكنه قطع حديثه اذ انبعثت ضجة عالية نشأت من سقوط قدحين وبعض الصحاف على الارض وتحطمها عندما دفع هوجان الخوان الذى كان امامه وهو يهم بادوقوف قائلا فى صوت عال :

ـ اننى اريد الذهاب الى دورة المياه ..

قالت كاى كأنما تلى درسا محفوظا :

ـ الباب الثانى الى اليمين فى البهو .

ولكن هوجان عاد يصيح وكأنه يتحدى العالم بأسره :

ـ اننى منذ ولدت أعلم ان دورة المياه للبحار هو البحر .. وما كان يفعله نلسن سوف افعله أنا .

واستدار نحو النافذة العريضة المنخفضة فجذب ستارها وراح يناضل فى سبيل فتح مصاريعها .. فتقدم بيرفيلد لمساعدته ، ثم هبط الى الحديقة وراءه ..

واستأنف زلرمان حديثه للوبين فقال :

ـ فعندما نذهب الى شنغهاى ، سيكون همك ان تشرب حتى تثمل ، وان تجد فتاة تسمر معها .. هل ذهبت الى شنغهاى قبل ذلك ؟ ..

ـ كلا .. انها سوف تكون المرة الاولى .. ولا تنسى انك

وعدتنن بارشادى الى بعض العناوين ..
ـ لم أنس ذلك .. ولو اننى اخشى ان يكون معظمها قد تغير منذ الحرب .. ولكنى سوف اجعلك تتصل بصديق لى سيتولى العناية بامرك .. واننى أعلم انك سوف تجده ، اذ جاءتنى آخبار منه أخيرا ..
ـ وهل يعرف جميع العناوين هناك ؟ .. اعنى الاماكن المسـلية ؟ ..

ـ انه يعرفها جميعا .. وهو رجل ظريف اعتاد ان يبعث الى ببعض التحف الفنية لمجموعتى .. والواقع انه ربما امكنك ان تحضر الى بعضا منها معك عند عودتك ، فقـد كتب لى ان لديه اشياء كثيرة من اجلى لو اتيحت له وسيلة ارسالها ..
وتناول لوبين كاسا اخرى بينما كان يتدبر الامر ويفكر فيما ينبغى ان يقوله أو يفعله .. واخيرا قال :
ـ ولماذا لا يرسلها لك بالبريد ؟ ..
ـ ربما بدأ لك الامر سخيفا ولكن الواقـع انه لا تزال القيود شديدة على استيراد العاديات ..
فغمز لوبين بعينيه ، وقال :
ـ اذن فهو تهريب محمود الاثر ؟.. حسنا يا رئيسى.. ان توم سيونز رجلك الذى تستطيع الاعتماد عليـه .. ولتسقط اللعنة على الجمارك ، كما كنت أقول دائما ..
وراح زلرمان يتأمله فى امعان قبل ان يفتح فمـه ويهم باستئناف الحديث ..

ولكن لم يتسع له الوقت لذلك اذ انبعثت ضجة عالية من ناحية النافذة ، وانفرج الستار عن فراديناند بير فيلد وهو يخطو الى الحجرة وقد تمزقت سـترته وقميصه ، وراح

يصيح كطفل صغير يشكو لامه ، وهو يقول كوكى :
ـ كوكى ان ذلك الرجل الفظيع كاد يقتلنى .. لقد مزق لى ثيـــابى ..

وتلا ذلك دخول باتريك هوجان ، قبل ان يستطيع احد ان يقول شيئا . وكان يزار قائلا فى مرح :
ـ يقينا لقد كنت انتظر هذه الفرصة ..

ومضى نحو البار فوضع يده اليسرى على منكب لوبين وأدارة قليلا وهو يستطرد :
ـ وانت يا توم يا بنى . انك لست بصديقى اذ سمحت له بالخروج ورائى .. واذا كنت تعــد ذلك دعاية منــك فهاك جزاؤك ..

وقبل ان يدرك لوبين ما يتهدده ، رفع هوجان قبضة يده اليمنى واهوى بها فى لكمة عنيفة اصابت فكه ، فسقط عن مقعده ، وتراءت امام ناظريه اضواء ملونة ساطعـة ، تلاها ظلام دامس اذ غاب عن الصواب ..

الفصـل العاشـر

أفاق لوبين من سباته تدريجيا وهو يبذل جهدا خارقا كأنما ينشل عقله وحواسه من هوة عميقة بعيدة القرار .. وعلى الرغم من انه كان يعرف انه قد صرع بضربة قاضية الا أنه كان لديه الكثير من الاشياء التى ينبغى أن يستجمع حواسه تمام قبل ان يتذكرها ..

ولم يفتح عينيه للتو اذ احس بألم شديد بين صدغيــه جعله يقطب حاجبيه ويسكن مكانه بلا حراك .. ومن عجب

انه فقد الشعور كثيرا من قبل ، ولكن لم يسبق له ان خر صريعا وغاب عن الصواب من لكمة باليد المجردة ، وانما عندما كان يصاب من آلات صلبة بيد اعدائه .. ومهما يكن من أمر فلم تكن غشيته لتطول ولم تكن افاقته ليصحبها هذا الصداع العنيف الا عندما يدس له المخدر فى الشراب فيحس بالاعراض التى يحس بها الآن ..

وعاد يفكر فى انه الليلة لا يحمل سلاحا على عادته كلما خرج لمغامرة .. ولكن الذى يهمه الان هو ان يستوثق من انه لا يزال يرتدى ثياب تنكره ..

ولعل الشك الوحيد الذى كان يتراوحه هو فى بقاء شعره على ما كان عليه من الشيب الزائف اذ كان قد رشه بمسحوق المطاق الناعم .. اما دهان وجهه ولصق شاربه فقد كان واثقا من بقائهما على حالهما اذ صنعهما من مواد لا تؤثر فيها المياه ..

وبعد لحظة ادرك لماذا سبح تفكيره الى هذه الوجهة بالذات ، فقد كان هناك شخص يجلس بجواره ويرطب وجهه بمنشفة مبللة ، ويهز كتفيه فى رفق .. بل لقد كان يهتف به فى همس رقيق : توم ! .. توم ! ..

وكان الصوت مالوفا لديه .. فحاول ان يفتح عينيه ، ولكنه ما ان فعل حتى ادرك انه ليس ثمة اى تغيير .. ترى هل اصابه العمى ؟

وعاد الهمس الرقيق يردد : توم .. استيقظ ! ..
فغمغم لوبين فى نبرات النعاس : افالون يا حبيبتى ! ..
وعندئذ احس بوجه ناعم يلامس وجهه ويتمسح على

وجنتيه ، وشفتين دافئتين تلعقان فمه ، وذراعين حانيتين تضغطان على جسمه الساكن .. وبالصوت الرقيق يهمس فى لهفـة :

ـ لوبين .. حبيبى لوبين .. افق يا عزيزى .. استيقظ .. ويلاه ! يالى من غبية ! كيف لم اعرفك ؟ ..

وافاق لوبين تماما .. وغمغم قائلا :

ـ افالون ! .. لقد تركت لك رسالة تليفونية اننى سوف اراك فى الغد .. ولا ريب ان الغد قد حل الان .. ولكننى لا استطيع رؤيتك .. اليس ذلك سخيفا ؟ ..

ـ لقد أطفأت النور ثانية حتى لا يبدو من أسفل الباب..

ـ ولكن كوكى توسلت الى أن أفعل ، بعد أن اعتذرت لى فى حرارة .. و ..

ـ أذكرى لى ما حدث تماما ..

ـ بعد ان أصابك باتريك وصرعك قالت كوكى انك لم ترسل فرديناند خلفه ، بل هو الذى تبعه من تلقاء نفسه ، أو انها هى التى أرسلته .. فتألم باتريك لخطئه كثيرا .. ومن ثم وضعتك فى الفراش وانفض الجميع بعد أن قال الدكتور زلرمان انك ستنام طويلا ..

ـ ولكنى لم أنم قط من لطمة تصيبنى ..

ـ ان باتريك رجل قوى .. فقد حملك وارتقى بك الدرج بمفـرده ..

ـ ليس لقوته شأن فى الامر .. ولا ريب اننى تناولت مخدرا ، فقد كان زلرمان هو الذى يملأ الاقداح ، ومـن المحقق انه وضع لى شيئا فيها ولنى أفيق الان .. ولو أن زلرمان كلن يعتقد اننى سأنام طويلا ..

ـ وهل أفقت تماما ؟ ..

ـ اننى لم أثمل البتة الليلة يا بنيتى ، مهما بدا على من اشتداد السكر بى ..

ـ ولكنك لن تستطيع النهوض الآن ؟ ..

ـ من قال ذلك .. اصغى الى .. لقد كنت ترطبين وجهى بمنشفة مبللة ، فمن أين حصلت على الماء ؟ ...

ـ ان المغسل هنا فى ركن الحجرة ..

ـ خذينى اليه اذن ..

فقادته الفتاة فى الظلام الى المغسل حيث راح يريق الماء فوق رأسه وهو يحاذر حتى لايند عنه أى صوت .. وما لبث ان أحس بقواه وصفاء ذهنه يعودان اليه .. فقال :

ـ اننى على ما يرام الآن يا أفالون .. فأخبرينى ..

ـ بل نبئينى أولا كيف فعلت ذلك ، ولماذا تنكرت هكذا وما الذى جئت تفعله هنا ؟

ـ لقد ابتعت ثيابا قديمة لاحد البحارة ، وجئت الى هنا لاننى دعيت الى الحضور .. ولكن الاهم هو ان تخبرينى لماذا كنت تحاولين ايقاظى فى هذا الوقت المتأخـــر من الليل ؟ ..

فأجابته فى هدوء : لقد كنت خائفة ! ..

وكان يحس بتصلب جسمها بجانبه ، وتوتر اصابعها فى يده ، وهى تستطرد :

ـ وقد انتابنى الجزع عندما رأيت زلرمان ، فلم يقـــل لى أحد شيئا عنه ، مما يدل على أنهم تعمدوا اخفاء وجوده عنى .. ولم ابال بالامر أولا ، فما يســـتطيع زلرمان أن ينالنى بسوء اثناء وجودكما هنا ولو انك وباتريك كنتمـا ضيفين ولن تتدخلا فى شئوننا الخاصة .. فلما رأيت باتريك

يصرعك لغير ما سبب ، عاودنى الفزع .. حتى اذا ما أويت الى فراشى ، ولم اطلق النوم ورحت افكر فى الامر مليا ، وظللت مسهدة ارهف السمع ، فتبينت ان الباقين لن يناموا بعد ذلك ، اذ كنت لا أفتأ اسمع اصواتا غريبة خافتة .. ولكن احدا لم يدن من حجرتى ، ولم يحاول اقتحامها ، ولو اننى كنت قد حرصت على ايصادها .. وكانت الاصوات التى اسمعها تبدو لى غريبة حقا ، كأنما يحاول اصحابها اخفاءها عن السمع .. فلما اشتدت بى الهواجس واستبد بى الذعر شعرت بحاجتى الى شخص اتحدث اليه ، ولم اجد خيرا منك أو من باتريك .. ولم اكن أعرف ما يمكن ان أقوله لك عندما حضرت الى هنا ، ولكن لم أفكر فى شىء من ذلك .. فلما جئت وأضأت النور وتبينت ان باتريك ليس فى فراشه ، وانك ملقى كالجثة الهامدة لا رجاء فى استيقاظك كما قال زلرمان ، جن جنونى وكدت اصيح من فرط الرعب ..

وكان لوبين يحيطها بذارعه ويضمها اليه ، على حين كانت يده الاخرى موضوعة فوق فخذه ، فأحس بشىء معدنى حاد الزوايا تحت يده ، وما لبث ان مد يده الى سرواله ليحاول ان يتبين كنه هذا الشىء اثناء حديثه مع افالون ، ثم قال :

ـ ينبغى ان أخبرك بشىء او اثنين يا عزيزتى ، على ان أقص التفاصيل عليك فيما بعد اذا اتسع لنا الوقت .. فنحن الان فى موقف ترخص فيه الحياة البشرية حتى تغدو اقل من التراب ، فاصغى الى ولا تقاطعينى ..

وتمهل لحظة قبل ان يتابع حديثه فيقول :

ـ ان العلاقة بين رقم ٩٠٣ ببابلنج رود بشنغهاى ، وبين

المرفأ والميناء فى نيويورك ليست مبنية فى أية خريطـــة بحرية ، ولكنى سأوضحها لك بأن أقص عليك قصة صغيرة .. فيحكى ان رجلا ولنسمه مثلا الدكتور زلرمان ، خطرت له فكرة بادية البساطة .. هى انه اذا اســتطاع أن يزود شخصا ما بالمخدرات ، استطاع ان يجعل منه آلة يسـيرها كيفما شاء .. وكانت الحرب قد قضت على تهريب المخدرات قضاء مبرما ، الا ان احياء هذه التجارة كان متوقعا منـذ ان غدت هيروشيما من الذكريات التاريخية .. وبذلك بدأت الصلة بين شنغهاى ونيويورك .. وكان الافيون موجودا بوفرة فى الشرق وقد خزنه تجاره فى انتظار انتهاء الحرب وكانوا يعلمون ان البواخر التجارية سوف تعاود مسيرها وان الكثير منهما يمر بنيويورك .. ومن ثم جمع الدكتور زلرمان حوله زميلا أو اثنين واختارا مركزا لعمله هنـــا ، ولنسمه مثلا (مقصف كوكى) حيث يدعى بحارة البواخر التجارية ليأكلوا ويشربوا ويستمتعوا ما طاب لهم الاستمتاع ، وكل ذلك بلا مقابل . ويقع الاختيار على بعضهم فيدعون للاستزادة من الشراب والطعام والمتعة فى (قبو كوكى) حيث يقدمون للدكتور زلرمان ، فيستطيع بخبرته وبراعته كعالم نفسانى ان يستشف مواطن الضعف فيهم ولا يلبث ان يقول لبعضهم . ما رأيك فى ربح بعض المال الحلال ؟ .. اليك مائة دولار على الحساب ، وما عليك عند وصولك الى شنغهاى الا ان تقصد الى ٩٠٣ شارع بابلنج رود فتقـــول (لقد ارسلنى جورج ..) ثم تحضر اللفـــافة التى تعطى الى وتسلمها الى مستر جيمس براثر مثلا فتنال المزيد من المـــال ..

ولكن بيع هذه المخدرات وتوزيعها لا يكاد ينتج الارباح

المتوقعة منها بما يكفى المشتركين فيها .. ومن ثم تبـــدأ العملية الثانية وليس ثمة شخص يستطيع ان يمد مرضـاه بالمخدر مثل الطبيب البارع .. حتى اذا ما وقعـوا تحت سلطاته امكنه ان يكتشف أو يخلق ما يمكن ان يستخدمه فى ابتزاز المال منهم .. وهكذا تنتشر شبكة واسعة من الاجرام تبدأ فى شنغهاى وتنتهى بعيادة الطبيب مـــارة بالمقصف والملهى اللذين تديرهما كوكى ..

فقالت افالون وهى تلهث دهشة :

ــ اذن فالامر كذلك ؟ .. ان هذا يفسر لى اشياء كثيرة كنت لا افهمها من قبل ..

وادرك لوبين ان الفتاة صادقة فى دهشتها ، وانهـا لم تكن تعرف شيئا مما حولها .. وفى ذلك الوقت كانت اناملة لا تزال تعبث بالجسم المعدنى الذى وجده فى جيب سراوله دون ان يستطيع معرفته تماما ، فقال :

ــ هل يمكنك ان تجدى علبة ثقاب يا افالون ؟ ..

وسرعان ما اشعلت الفتاة الثقاب ، وعلى ضـــوئه رأى لوبين ذلك الشىء وقال :

ــ لا ريب ان هوجان قد وضع علامته فى جيبى كمحاولة اخيرة يائسة لطلب النجدة والمعونة .. وهو لم يعرفنى قط كمـا لم احسب ان يكون هوجان أحد ضباط هيئة مكافحـة التهريب بمصلحة الضرائب ! ..

★ ★ ★

وانطفأ عود الثقاب ، فاستطرد لوبين :

ــ ولقد ادركت انه ينتمى الى احدى الهيئات الرســمية

عندما وجدت علامته فى جيبى منذ قليل .. ما قبل ذلك فقد كنت حائرا فى هويته .. وقد تبينت عندما كنـــا فى المقصف انه يحمل مسدسا فى جيبه ، كما تبينت فى مغازلته لكاى ناتيللو انه يمثل دورا معينا ، اذ انها آمرأة لا يمكن ان تكون فتاة احلام البحارة وموضع غزلهم . وكلنى كنت احسبه من افراد العصابة وانه يمثل هذا الدور للتغرير بى .

ـ ولكن لماذا صرعك اذا لم يكن منهم ؟ ..

ليزيحنى من الطريق ، اذ لم يعرف شخصيتى .. فقد اديت دور الملاح الكهل فى براعة لا بأس بها ، ومضـــيت كأنما احاول استرضاء كوكى وزلرمان .. واراد هوجان ان ينفرد بمهمته فى ضبط العصابة ، وخشى أن اكون شـديد الثمل بحيث لا اذكر ما أراه أو أرفض اداء الشهادة معه ، ولذلك افتعل هذه المسرحية البارعة ليتخلص منى .

ـ ولكن أين هوجان ما دام ليس فى فراشه ؟ ولماذا ترك علامته معك ؟

ـ اما ان يكون قد فعل ذلك ليرشدنى الى حقيقته فاطبق فمى وأخلد الى الصمت ، واما انه تبين مقدار الخطـــر الجسيم الذى يقدم عليـــــه ، فأراد ان يدفعنى الى ابلاغ السلطات اذا ما أصابه شىء .. ومهما يكن من أمر فسأمضى للبحث عنه ..

وأرادت الفتاة ان تثنيه عن عزمه فطمأنها الى انه قــد استعاد قواه تماما ، وطبع قبلة حارة على فمها ، ثم مضى نحو الباب ففتحه ..

وكانت الردهة معتمة ساكنة لا حياة فيها ، ولكنه ما لبث ان سمع ضوضاء خافتة تبين فيهما همهمة اصوات تتحدث ،

وصليلا معدنيا ينبعث من الطابق الاسفل .. ولم يستطع ان يميز شيئا محدودا من هذه الضوضاء أو كلمة مفهومة من الحديث ولكنها كانت توحى بالرهبة وتنم على اشياء خطيرة تجرى فى مكان ما بأسفل الكوخ .. اشياء تدفع لوبين الى المبادرة باكتشافها ، اذ تدل على ان باتريك هوجان فى ورطة مروعة وخطر داهم ، وأنه فقد مسدسه والا لكان لضوضاء مظهر آخر مختلف كل الاختلاف عما هو عليه الان ..

وكان يتحرك فى خذر كالمهر ، وأرهف السمع عندما سمع صوتا جديدا يطغى على الضوضاء الخافتة .. كان صوت اثنين يتحدثان .. فلما استطاع لوبين ان يركز حواسه فى الاصغاء ، تألقت فى ذاكرته ومضة خاطفة من الفهم ..

فقد كان احد الصوتين مماثلا لذلك الذى سمعه فى التليفون عندما سطا على عيادة الدكتور زلرمان ..

وكان صوت فرديناند بيرفيلد ..

واسرع لوبين ، تتبعه افالون ، نحو الباب الموصد الذى ينبعث من ورائه صوت فرديناند والدكتور زلرمان ، فسمع الاول يقول :

ـ كلا .. لن افعل شيئا من ذلك .. فهذه مهمتك ويجب ان تتمها يا ارنست ! ..

وقطب لوبين حاجبيه .. فلم تكن نبرات بيرفيلد تلك تبدو فيها السلطة والامر .. ولم تكن تلك النبرات الواهنة النبرات المخنثة الرقيقة ، وانما كانت الان صارمة قوية الضارعة التى شكا فيها لكوكى ضرب هوجان اياه وتمزيقه ثيابه وانما كانت الان نبرات رجل يستطيع ان ينطق بحكم الاعدام على كثيرين ..

وانبثقت اشعة المعرفة فى رأس لوبين ٠٠ وإذا به يتبين أن زمالة الدكتور زلرمان وكوكى وكاى ناتيللو ، وصلتهم جميعا بسام جفريز وجوهيمان واضرابهما واشتراكهم مع جيمس برائر وغيره ، انما تشبه خيوط الشبكة التى ينسجها العنكبوت ويربط فيما بينها فى دقة واحكام لقضاء اغراضه ٠٠ وأن ذلك العنكبوت الشرير ٠٠ الرأس المدبر لهذا كله والذى ينشده لوبين من بادىء الأمر ، انما هو مستر فرديناند بيرفيلد الفنان ! ٠

أحس لوبين بأصابع أفالون تضغط على ذراعه ، وقد تملكها دهشة طاغية فراح يربت على يدها وهو يصغى الى بيرفيلد اذ استطرد قائلا :

ـ سوف يكون أمرا فظيعا أن نفقدك يا أرنست ٠٠ ولكنك تعرف تماما كم تود ادارة المخابرات السرية أن تعلم السر فى قدومك من فينا كلاجىء سياسى ٠ وقد أخذتك فى حمايتى كل هذا الوقت ، ولكنى لن أفعل ذلك الى الابد ٠٠ فاذا تخليت عن عملك معنا وحدث شىء ٠٠

ـ اننى لا أريد أن اتخلى عن العمل يا فرديناند ٠٠ ولكن الرسائل التى اتبعناها معه لم تؤد الى نتيجة مثمرة ٠٠ وفى ظنى انه سوف يموت قبل أن يخبرنا بما يعرفه ٠٠

وكان الدكتور زلرمان يقول ذلك فى ضراعة ومذلة ، على حين كان صوت بيرفيلد يفيض بالقوة والصرامة اذ اجابه :

ـ حذار أن يحدث ذلك فاننى اريد معرفة كل ما يعمله هذا الرجل ٠٠ ولن اشترك معكم ٠٠ فانك تعلم اننى لا أضيق رؤية مناظر الدماء والتعذيب ، وانها تصيبنى بالام فظيعة ٠٠

ـ ولكن هذا لم يكن شأنك فى حالة البرت فولى ٠٠ فلم

يبد عليك أى تأثر وقتئذ ..

ـ آه ! . لقد تأثرت تماما .. وعندما طعنته بتلك المدية، كاد يغمى على ، وكدت أصيح فزعا . ولكنى كنت مضطر لهذا العمل اذ كان فولى يعبث بنا ويسعى لبيعنا ويحاول أن يبتز المال منا بهذا التهديد .. وكان يجب عليك أنت أن تتولى أمره .. فلما لم تفعل اضطررت الى التدخل مكرها ..

ـ ألا تريد أن تحضر لمساعدتنا الآن ؟ ..

ـ كل ما فى الامر اننى اريد هذه المعلومات فى الحال .. وعندئذ جذب لوبين أفالون بعيدا عن الباب واسرعا الى ركن البهو فوقفا ملاصقين للجدار فى سكون مطبق حتى غادر الدكتور زلرمان حجرة فرديناند متجها نحـو الدرج المؤدى الى الاسفل دون أن تتجه نظراته ناحيتهما

وكان على لوبين أن يسكت بيرفيلدا أولا ، فمضى نحو الباب وفتحه على مصراعيه .. وكان فرديناند يقف فى وسط الحجرة مرتديا منامة بلون الكريز فتحول ليواجه الداخل وراح ينظر اليه فى غير اكتراث ، كما لو كان يتوقع أن يرى زلرمان عائدا اليه ليعتذر عما فرط منه .. ولكنه اذ رأى لوبين، ظلت أساريره على جمودها، بيد أن المفاجأة هزت كيانه هزا وأحس بدبيب الهلع يسرى تحت جـلده ثم ينبثق من مسامه على هيئة عرق غزير .. وما لبث أن ارتسم الفزع على وجهه الجامد ، ولم يعد يستطيع الحراك من مكانه أو ينبس ببنت شفه ..

وأسف لوبين لحالة الفتى ورثى له .. ولكن مستر بير فيلد كان يهدد السلام والهدوء اللذين يحتاجهما لـوبين لاتمام مهمته ، ومن ثم تقدم نحوه وقبض على عنقه ، وهو يغمغم :

ـ الا تعلم يا فردى انه قد حان الوقت لنوم الفتيـــات الصـــغيرات ؟ ..

ثم رفع قبضته وأهوى بها على فكه واســـرع يتلقاه بين ذراعيه وقد غاب عن الصواب .. ثم نقله الى الفراش واوثق يديه وقدميه وثاقا محكما وكم فاه حتى يمنعه من الصياح اذا ما أفاق من غشيته .. وبعد ذلك راح يفتش ثيابه فلم يعثر على أى سلاح بها ، كما لم يجد فى الحجرة نفسها شيئا يستحق الذكر .

وغادر لوبين تلك الحجرة ، فى طريقه الى الدرج ، وقد أحس بأن الفزع الذى تملك مستر بيرفيلد لم يـكن بسبب رؤيته له ، فما ينتاب الفزع ذلك الافعوان لمجرد رؤية توم سيمونز الملاح الكهل الثمل ، وانما لان هناك شيئا يجرى فى مكان ما من ذلك المنزل يخشى بيرفيلد أن يراه أحد ، شيئا يهدد حياة باتريك هوجان بخطـــر الموت ، ان لم يكن الموت نفســه ..

وبلغ لوبين نهاية الدرج . وأفالون معه .. ولو أن الفتاة أرادت النجاة بنفسها لكان ذلك ميسورا لها اذ غدت على قيد ذراعين من باب الخروج .. ولكنها راحت تنظر الى لوبين فى عزم وجـــرأة ، وان كانت الحيرة واللهفة تخالطان نظراتها الصـــارمة ..

وكان باب حجرة الاستقبال موصدا .. ولكن الاصوات التى انبعثت خلاله ، كانت واضحة الدلالة على ما يجرى بداخلها ..

وابتســم لوبين للفتاة ، وتركها ثم مضى الى المطهى ومالبث أن عاد ومعه سكين مقوسة مرهفة النصل ذات مقبض

من العاج ، دسها فى كمه الايسر وثنى ذراعه قليلا ليثبتها فى مكانها ..

وادنى فمه من اذن افالون ، وقال فى صوت خافت :

ـ اسرعى بالخروج يا عزيزتى ، وخذى احدى السيارات واذهبى الى المدينة لابلاغ رجال الشرطة واحضارها الى هنا باسرع ما فى وسعك ..

وفى خلال ذلك سأقوم بمناوشتهم حتى لا يغر أحدهم..

ولكنها هزت رأسها نفيا .. وما كان فى استطاعته أن يجادلها وقتئذ .. فتركها وهو يرجو ان تغير رأيها ، ومضى نحو باب حجرة الاستقبال فانحنى لينظر خلال ثقب المفتاح ليتبين الموقف الذى سيواجهه عند دخوله .

وكان ما رآه شيئا رهيبا .. بلغ من هوله انه جعـــل الرعدة تسرى فى أوصال أرسين لوبين نفسه ..

وفى اللحظة نفسها سمع صوت الدكتور زلرمان يقول فى نبراته الرقيقة :

ـ لماذا لا تتعقل يا باتريك وتخبرنا بما تعرفه ؟ .. ألا تعلم اننى سوف أمضى فى هذا العمل الى النهاية حتى تعترف لنا بكل ما عرفته اثناء تنكرك ؟

واختفت الصورة الصغيرة التى تبدو من ثقب المفتاح لبحل محلها منظر كامل دقيق التفاصيل عندما دفع لوبين الباب على مصراعيه ..

وكان ذلك شيئا لن ينساه لوبين مدى الحياة .. كان منظرا من مناظر الاساطير التى تروى عن القرون الوسطى ومحاكم التفتيش ..

كان الدكتور زلرمان يقف منتصب القامة يجلل هامتــه

شعره الاشيب المهيب ، وبين أصابعه لفافة لم ينفض رمادها مما يدل على رباطة جأشه وهدوء أعصابه .. بينما كان أمامه باتريك هوجان مقيد اليدين والقدمين الى أحد المقاعد وعرق الالم يتصبب من جبينه ويسيل على عينيه ووجنتيه حتى يختفى بين طيات الكمامة التى شدت فوق فمه ..

وكانت المرأتان تقفان الى جانبه ، وقد اختفت الابتسامة التقليدية من اساريرهما ، وارتسمت محلها سمة شيطانية مروعة .. ولعل الاحرى أن تقول الجلادين ، فقد كانت المرأتان تتوليان بنفسيهما عملية التعذيب الرهيبة ، وقد امسكت كاى ناتيللو بمحرك النار وهو يتوهج احمرار من شدة الحرارة ، وتضعه على قدم باتريك العارية فيسمع لنزوله هسيس غريب تفوح على أثره رائحة الجلد المحترق .. وعندئذ تهتز الكمامة فوق فم باتريك وتنبعث من حلقه همهمة تقطع نياط القلوب .

كما يهتز وجهه كله تحت صفعات كوكى المدوية وهى تواليه الصفعة تلو الاخرى بيدها المكتنزة الثقيلة ..

وسار لوبين الى داخل الحجرة فارغ اليدين ، والسكين مثبتة لصق ســـاعده ..

فما كاد زلرمان يراه حتى امتدت يده فى عجلة الى جيبه الخلفى ، ولكنه ما لبث ان استعادها وقد بدت فى محياه علائم التردد ..

فقد تحول لوبين ثانية الى توم سيمونز الثمل المترنح .. وكان شديد السيطرة على أعصابه حتى لا تخونه فى تلك اللحظات الحاسمة الدقيقة التى كانت أقل حـــركة خاطئة يأتيها كفيلة بأن تورده وباتريك هوجان موارد انهـــلاك معـــا ..

وهتف فى تلعثم من فرط السكر :

ـ هالو دكتور ! .. ما قولك فى كأس أخرى لمحسوبك ؟.
فرأى زلرمان تنفرج أساريره قليلا .. كما رأى كوكى وناتيللو تنظر ان اليه فى جزع وترقب وأمل .. وعندئذ قال الطبيب :

ـ لا ريب انك قد فقت من جديد يأتوم .. فقد كنا لا نتوقع أن تفيق قبل الصباح من فرط ما شربت .. وهانت تستيقظ بينما نهم نحن بالذهاب الى الفراش ..

ـ لقد كنت نائما .. ولكن أفقت على ظمأ شديد فجئت لارطب حلقى ببعض الشراب ..

وتظاهر بأنه يرى هوجان للمرة الاولى فتقدم نحـوه فى تعثر ، وهو يقول .

ـ آه ! .. ها هو الوغد الذى صرعنى .. الا دعنى أذيقة بمثل ما اذاقنى . فقال زلرمان :

ـ لقد أفرط باتريك فى الشراب ، وهانحن نحاول أن نحمله الى فراشه ..

وكان الطبيب يتحرك فى مهارة وخفة ليحـول بين لوبين ورؤية الحالة التى كان عليها هوجان .. ولكن هذا لا يفتأ بتقدم خطوة بعد آخرى وهو يكاد يسقط على الارض من شدة الترنح ..

وبغته رأى الطبيب يتصلب وجهه ، وتلوح فى عينيه نظرة رهيبة وقد أستقرتا على شىء معين خلف لوبين .. فادرك هذا أن آفالون لم تطق الصبر ، ودخلت الحجرة وراءه ..

وتوالت الاحداث فى مثل وميض البرق ، فقد أخـــرج زلرمان مسدسه وأطلقه فأصاب لوبين فى ذراعه فى اللحظة نفسها التى كان هذا فيها قد شد ساعده وتلقى بيده اليمنى

مقبض السكين التى يحملها .. وقبل أن يتسع الوقت لزلرمان ليطلق رصاصة اخرى كان لوبين يدفع السكين فى صدره حيث غاصت حتى المقبض ، ثم يختطف المسدس من يده المتراخية ، قبل أن يهوى الى الأرض ..

وهجمت عليه كاى ناتيللو وقد شرعت قطعة الحديد المتوهجة فى يدها ، فاضطر لان يطلق على تلك اليد رصاصة من مسدس زلرمان جعلت المرأة تصيح فى ألم بالغ وتسقط الاداة الجهنمية من يدها ..

الفصل الثانى عشر

وقال هاملتون فى أسف :

ـ اما كان فى وسعك ان تبقى على حياة زلرمان حتى ينال جزاءه ؟

ـ وهل كان فى وسعك أن تمنعه من قتلى ؟.. ان الدفاع عن النفس أمر مشروع يا صديقى .. ومع ذلك فقد تركت لك فى الوكر الافعوان الاكبر واثنين من أفاعيه ..

ـ هذا يكفى الان .. ويجدر بك ان تغادر المكان ، وسوف اتصل بك فى نيويورك اذ لدى مهمة اخرى من اجلك ..

ـ هكذا تريد دائما الا تدع لى فرصة للراحة .. أجل.. سوف اترك المكان لهوجان ، فان فيه الكفاية ..

فلما اعاد مسماع التليفون مكانه ، تحول الى باتريك قائلا :

ـ انها قضيتك آنت يا باتريك .. وعلى فكرة ، هل هذا اسمك الحقيقى ؟ ..

فأوما الضابط المنكود برأسه .. وكان لوبين قد فعل كل ما يستطيع فى سبيل تخفيف آلامه ، ولكن وجهه كان شديد الامتقاع .. وما لبث ان غمغم قائلا :

ـ اجل .. هوجان هو اسمى الحقيقى .. ولكنك خدعتنى تماما بتنكرك البارع .. لم اكن اتوقع البتة ان تكون ارسين لوبين عندما تركت علامتى النحاسية فى جيبك ، وانما كنت كالغريق يتعلق بالقش ، وخيل الى ان الامل لا يعدو واحدا فى الالف اذ كنت احسبك من اولئك البحارة السكارى الذين تلتقطهم العصابة لتستخدمهم فى التهريب .. ولعل ذلك كان السبب فى استجابتى لك عندما تمسحت بى فى المقصف ، حتى استطيع ان اراقب ما تفعله العصابة معك ..

فقهقه لوبين فى جذل ، وكانت أفالون قد فرغت من تضميد الجرح الذى اصاب ذراعه ، وراحت تعاونه فى ارتداء معطفه . فاحتضنها بيده الاخرى ، وقال لباتريك :

ـ ان رجال البوليس فى الطريق اليك الان ، فلا تقل لهم شيئا عنى .. وانك لرجل شجاع يا هوجان .. ويسعدنى ان عرفتك ..

وفى لهجة البحار الثمل ، استطرد يقول :

ـ يقينا يا بنى اننا سنلتقى مرة اخرى .. ربما فى مورمانسك .

(تمت)

رقم الايداع ٥٤١١ / ٧٨



الناشر :

مكتبة رجب

١٧ شارع البيدق

خلف مطافئ القاهرة بالعتبة

١٠٠